بسم الله الرحمن الرحيم

القــول الجــلي

فيما اشتبه في قضية

||| الإمـــام المهـــدي |||

- المقالة الأولى:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[1]

ابتداءً فإن شمس المهدي إذا أشرقت رآها صحيح النظر والأعشى وشعر بها الأعمى، لكن بداية تدسس طلوع فجر المهدي في السحر، وظهور تباشير الصبح لا يتأتى لكل أحد رؤيتها، وكذا المهدي كالقمر فإن طلوعه هلالاً أول الشهر لا يراه كل أحد في يوم الشك، لكن إذا مضى عليه يومان أو ثلاثة ظهر للكثير، وأما في ليلة اكتماله بدراً فلا يخفى على أحد.

وَإِذَا كُنْتَ بِالْمَدَارِكِ غِرًّا ... ثُمَّ أَبْصَرْتَ حَاذِقًا لَا تُمَارِي

وَإِذَا لَمْ تَرَ الْهِلَالَ فَسَلِّمْ ... لِأُنَاسٍ رَأَوْهُ بِالْأَبْصَارِ

وليس كل الأدلة يبصرها الناس كلهم فهي تختلف في غموضها ووضوحها وفي عمقها وسطحيتها، تأمّل قوله تعالى: **﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾**[2]، فاكتشاف حقيقة وأسرار الأمور المتعلقة بالأمن والخوف لا يعلمها كل أولي الأمر، لا يعلمها كل العلماء إلا المستنبط فقط، والاستنباط هو الغوص في أعماق النص القرآني أو النبوي للبحث عن المعنى، قال القرطبي: (والاستنباط مأخوذ من استنباط الماء إذا استخرجته، والنبط: الماء المستنبط أول ما يخرج من ماء البئر أول ما تحفر)[3]، ولذا قلنا الأمور تحتاج إلى غوص في الأعماق وإلى طول نفس للتأمل فيها، قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾**[4]، ولكنه لا يتبين كل التبين إلا في صدور الذين أوتوا العلم قال تعالى: **﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾**[5]، أي أَنَّهُ بَيِّنٌ ومَحْفُوظٌ فِي صُدُورِ الذين أوتوا العلم، أما غيرهم فلا يكون بيناً،

1 [يونس: 39].

2 [النساء: 83].

3 تفسير القرطبي (291/5).

4 [الحج: 16].

5 [العنكبوت: 49].

قال ابن تيمية: فَإِنَّهُ مَحْفُوظٌ فِي صُدُورِ الْعُلَمَاءِ، بَيِّن فِي صُدُورِهِمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ حَقٌّ، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ**﴾[6]، وَقَالَ: ﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى**﴾[7]، وقال: ﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**﴾[8]، وقال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[9]، فمن يعلمون هم الذين بين لهم. أما من لم يحيطوا به علماً فإنهم يسارعون إلى التكذيب؛ قال تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**﴾[10]، فتكذيب الأولين لرسلهم، بسبب أمرين؛ أولهما: أنهم رأوا الحق لكنهم لم يفقهوا غايته، ولم يستطيعوا إحاطته، والإحاطة هي التمكن من العلم بالشيء وإتقانه، والثاني: عدم وقوعه بعد أمام أعينهم، وهو في طريقه إلى الوقوع. قال ابن تيمية: (غلط الناس فيما ينفونه ويكذبون به أكثر من غلطهم فيما يثبتونه ويصدقون به، ولهذا قال تعالى: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾[11])[12]، ولذا اكتفى الله بإيمان أهل العلم عن إيمان غيرهم: ﴿**قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً**﴾[13].

ويا ترى منهم الذين عزى الله رسوله بإسلامهم؟!.

تجدهم قلة، لكن كما قيل: (قليلك لا يقال له قليل)، تجد ورقة بن نوفل وعبدالله بن سلام، ومخيريق، وسلمان الفارسي!

ولذا يمدّ الله الإمام المهدي وقت بيعته بسبعة علماء.

---

6 [سبأ: 6].

7 [الرعد: 19].

8 مجموع الفتاوى (190/14).

9 [البقرة: 230].

10 [يونس: 39].

11 [يونس: 39].

12 الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (502/6).

13 [الإسراء: 107].

- المقالة الثانية:

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [14]

أحد كُتّاب الوحي في فجر الإسلام كسر قلمه وانقلب على عقبيه وهو عبدالله بن أبي السرح، وأورد إشكالاتٍ حال انصرافه؛ حيث قال عبدالله ابن أبي سرح عن النبي ﷺ: (إني لأصرفه كيف شئت، أنه ليأمرني أن أكتب له الشيء، فأقول له: أو كذا أو كذا، فيقول: (نعم)، وذلك أن رسول الله ﷺ كان يقول: **﴿عليم حليم﴾** فيقول له: أو أكتب **﴿عزيز حكيم﴾** فيقول له رسول الله ﷺ: (كلاهما سواء)، وفي رواية: (كلاهما صواب)[15]. وقد أورد ابن تيمية في الصارم المسلول روايات كثيرة للحديث وصحح كثيراً منها، ثم أورد ابن تيمية احتمالات لتخيير النبي ﷺ للكاتب، بكتابة أي عبارة تذيل بها الآية فقال:

1. إما توسعة إن كان الله قد أنزلهما.
2. أو ثقة بحفظ الله وعلماً منه بأنه لا يكتب إلا ما أنزل.
3. أو أن الكاتب كان يستدل بما قرأ النبي منها على باقيها؛ كما يفعله الفطن الذكي، فيكتبه ثم يقرأه على النبي ﷺ فيقول كذلك أنزلت كما اتفق مثل ذلك لعمر في قوله: **﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾**[16]، فشك ابن أبي السرح حينئذ وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال فنزلت هذه الآية: **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾**[17].

---

14 [الجاثية: 17].

15 رواه الإمام أحمد.

16 [المؤمنون: 14].

17 [الأنعام: 93].

4. أو أن النبي ﷺ كان به حاجة إلى من يكتب لقلة الكتاب في الصحابة وعدم حضور الكتاب منهم في وقت الحاجة إليهم فإن العرب كان الغالب عليهم الأمية حتى إن كان البلد العظيم يطلب فيه كاتب فلا يوجد وكان أحدهم إذا أراد كتابة وجد مشقة حتى يحصل له كاتب فإذا اتفق للنبي ﷺ من يكتب له انتهز الفرصة في كتابته فإذا زاد كاتب أو نقص تركه لحرصه على كتابة ما يمليه ولا يأمره بتغيير ذلك خوفاً من ضجره وأن يقطع الكتابة قبل إتمامها ثقة منه ﷺ بأن تلك الكلمة أو الكلمتين تستدرك فيما بعد بالإلقاء إلى من يتلقنها منه أو بكتابتها تعويلا على المحفوظ عنده وفي قلبه كما قال الله تعالى: **﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى (6) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى(7)﴾**[18].

وأفضل الاحتمالات عند ابن تيمية القول الأول لأن القرآن أنزل على سبعة أحرف، بمعنى أن الأقوال الأولى خيارات مطروحة، لكنها صعبة التصور عند كثير من الناس، فرجح القول الأول لأنه أخف ثقلاً على الذهن من غيره، ونحن سنقف مع هؤلاء على أخف الأقوال وأسهلها فهما وهضماً؛ لنكتشف أنه أيضا فيه مشقة ذهنية قد تصل بالشخص إلى الشك في القرآن لولا عصمة الله، وقد جرى ذلك لأفضل القراء أبي بن كعب؛ قَالَ أبي بن كعب: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاَةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَءَا فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا، فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلاَ إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ –اقرأ العبارة مرة أخرى– فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا فَقَالَ لِي: (يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي. فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ...)[19].

18 [الأعلى: 6-7].

19 رواه مسلم.

ولو حاولنا القرب أكثر من معنى الحديث فإن الذي جعل الشك يخالج صدر هذا الصحابي الجليل –وهو من هو في فهم القرآن– فإن مآل الأمر هو جواز قراءة القرآن بالمعنى يؤيد ذلك: (كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يُقْرِئُ رَجُلاً أَعْجَمِيّاً: ﴿**إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (43) طَعَامُ الأَثِيمِ (44)**﴾[20] فَقَالَ: طَعَامُ اليَتِيمِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَقُوْلَهَا، فَقَالَ: قُلْ طَعَامُ الفَاجِرِ، فَأَقْرَأَهُ طَعَامُ الفَاجِرِ)[21]. قال الزمخشري: (وبهذا يستدل على أنّ إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها)[22]. ونقله القرطبي في تفسيره وانتقده، وقال: (إنما كان من أبي الدرداء على سبيل التعليم حتى يستقيم لسان الرجل)[23].

ونحن نقول: (حتى على قول القرطبي هل يستجيز محدثو اليوم أن يغيروا لفظة قرآنية في تحفيظ سورة الدخان؟!. أما أنّ هذا عندهم من الكفر البواح والشرك الصراح؟!).

وقد ذكر ابن حزم رواية أبي الدرداء في تغيير لفظة (الأثيم) إلى (الفاجر) ثم روى بإسناده عن ابن وهب: (قلت للإمام مالك: أترى أن يقرأ كذلك؟ قال: نعم أرى ذلك واسعاً)؛ قال ابن حزم: (وهذا إسناد عنه في غاية الصحة، وهو مما أخطأ فيه مالك مما لم يتدبره لكن قاصداً إلى الخير... إلخ)[24].

ونحن لا نريد من يعرضون مشروع المهدي أن يجيزوه أو يمنعوه ولكن نريد أن نوقفهم على أن الدقة المتناهية في رواية الأحاديث ليست متعسرة فحسب بل متعذرة أيضاً، وكذا لا نرى صحة ما ذهب إليه مالك أو الزمخشري، بل لا نرى جواز التحدث به، لولا أن بعض من ينسبون إلى أهل الحديث بالغوا في ادعاء الدقة في رواية الأحاديث جهلاً منهم بأقوال العلماء في القرآن الكريم؛ وطالبوا بدقة أحاديث الفتن بما لم يطلبه مالك في رواية القرآن. ومعلوم أن الإمام مالك

20 [الدخان: 43-44].

21 تفسير الطبري (53/21).

22 من تفسير الكشاف (281/4).

23 انظر تفسير القرطبي (149/16).

24 الإحكام لابن حزم (559/4).

يتربع في إحدى حلقات السلسلة الذهبية عند المحدثين، فإذا كان هذا تساهله في نقل القرآن فتساهله في الحديث أولى.

وهنا أتساءل .. ترى لو كان بعض كتابنا اليوم هو من يكتب الوحي وقت نزول الأحرف السبعة، ترى ماذا سيكون؟!.

فعليه نحيطكم علماً أنه ليس كل من ارتد عن الإسلام في فجر الرسالة وفي عهد الوحي كان سبب ردته أنه فتن بلعاعة من الدنيا، كما يفهم بعضهم. بل الخوارج الذين هم شر قتلى تحت أديم السماء كان أكبر مشكلاتهم هو ضيق أفقهم وقلة فقههم. ولذا قال النبي ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين –ثم قال في نفس الحديث– ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله)[25]، وعلاقة أول الحديث بآخره ظاهره أن الطائفة المنصورة فقهوا طبيعة الدين وماذا يراد منهم؟!، وقد لاحظ بعض الفقهاء كعيسى بن أبان والبيضاوي وغيرهما ذلك فاشترطوا فقه الراوي فيما يروي، وقد رد بعضهم رواية من قلّت مخالطتُهم للرسول ﷺ؛ والتفقه عليه، وقدموا عليها من كان أطول ملازمة منه، كردهم رواية معقِل بن سنان في عدة ومهر المتوفى عنها زوجها وتقديمهم عليها رأي علي بن أبي طالب، كما تجده في مظانه في أصول الفقه.

ولسنا الآن في صدد ترجيح قول أو تخطئة مذهب أو تزييف رأي، وإنما معرفة طبيعة العلم وأنه ليس لوناً واحداً أبيض أو أسود وإنما يأخذ مجموعة ألوان الطيف، ولذا فالعلماء إذا تحدثوا عن العلم يقولون: لا بد أن يكون العالم صاحب ملكة نفس وقوة استنباط، ولا تقف القضية عند حفظ أحاديث الباب، ولو حاولنا القُرب.

وإذا أورد العلماء قول عثمان وعائشة رضي الله عنهما: إن في القرآن لحناً ستقيمه العرب بألسنتها ذكروا هذا العبارة عنهما ثم ردوه ورفضوه[26].

25 رواه البخاري.

26 مشكل القرآن لابن قتيبة والقرطبي في تفسيره ومجموع الفتاوى لابن تيمية وغيرهم.

لكن الدين بحاجة في كل عصر إلى من يجدد فهمه مما ران عليه من غبار التحريف الذي تراكم عليه عبر طول الزمان، وما حصل له من نقص عبر عوامل التعرية التي تأكل من أطرافه، قال النبي ﷺ: (يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[27]، والتحريف يكون عبر النظرات القاصرة للقرآن أو السنة كما جرى في تاريخ الفرق الضالة، ولذا يقيمه العلماء بفهمهم قال النبي ﷺ: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدولُه ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين)[28]، واحتج به ابن تيمية في مجموع الفتاوى وابن القيم في مفتاح دار السعادة وإغاثة اللهفان وغيرهما وقال: (استشهد الله عز وجل بأهل العلم على أجل مشهود به؛ وهو التوحيد، وقرن شهادتهم بشهادته، وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم، فإنه سبحانه وتعالى لا يستشهد بمجروح، ومن ههنا –والله أعلم– يُؤخذ الحديث المعروف: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدولُه...))[29].

فإن من غلى في الدين أدخل فيه تحريفاً بقدر غلوه وهل كان مصدر التحريف عند اليهود والنصارى إلا الغلو قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾[30]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ**﴾[31]، والوعي والفهم هو خير حصن يصدّ ويرد الغلوّ.

وقد قال الإمام علي: (يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة).

---

27 رواه أبو داود.

28 رواه البيهقي والبزار وغيرهما، وقد ذكر الخطيب البغدادي تصحيح الإمام أحمد له بطرقه. وصححه الألباني في مشكاة المصابيح.

29 مدارج السالكين (470/2).

30 [النساء: 171].

31 [المائدة: 77].

تأمّل كيف ميّز الهمج الرعاع عن العالم وعن المتعلم بانقداح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، وتركيز الإمام علي على هذا الوصف لا يخلو من معنى ينبغي الالتفات إليه لحضوره في ذهن الإمام علي الذي عانى من قلة فقه الخوارج الذي انتهى الأمر إلى قتالهم.

يظن الغمر أن الكتب تهدي أخ علـــم لإدراك العلـــوم

وما يدري الجهول بأن فيها غوامض حيرت عقل الفهيم

ولذا قيل: (انْتَهَى العِلْمُ إلى أَرْبَعَةٍ: أَبُو بَكْرٍ بنُ أَبِي شَيْبَةَ أَسْرَدَهُمْ لَهُ، وَأَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ أَفْقَهَهُمْ فِيْهِ، وَعَلِيُّ بنُ المدِيْنِيّ أَعْلَمُهُم بِهِ، وَيَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ أَكْتَبُهُمْ لَهُ)[32]،ومعلوم أن فضل الإمام أحمد بن حنبل في الأمة لا يخفى وذلك لفقهه، بخلاف ابن المديني؛ فإنه وإن كان أعلم من الإمام أحمد في الحديث لكن الإمام أحمد أفقه فيه منه، ولذا قال مالك رضي الله عنه لابني أخته بكر وإسماعيل: (أراكما تحبان الحديث وتطلبانه؟! قالا: نعم. قال: إن أحببتما أن تنتفعا به وينفع الله بكما فأقلا من الحديث وتفقها)[33]، واستحسن ابن تيمية قول الإمام أحمد: (مَعْرِفَةُ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهُ فِيهِ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ حِفْظِهِ)[34].

ولم يكن المحدثون يحدثون من اتفق من الطلبة وما تيسر من التلاميذ، خوفاً أن يعتلي على كرسي التدريس ومنبر الخطابة وصدارة الريادة من ليس أهلاً لذلك.

استمع إلى هذه القصة: كان مالك وعبدالعزيز بن أبي سلمة ومحمد بن إبراهيم بن دينار وغيرهم يختلفون إلى ابن هرمز، فكان إذا سأله مالك وعبدالعزيز أجابهما، وإذا سأله ابن دينار وذووه لا يجيبهم، فتعرض له ابن دينار يوماً، فقال له: يا أبا بكر لم تستحل مني ما لا يحل لك، فقال له: يا ابن أخي، وما ذاك؟!، قال: يسألك مالك وعبدالعزيز فتجيبهما، وأسألك أنا وذوي فلا تجيبنا، فقال: أوقع ذلك يا ابن أخي في قلبك؟!، قال: نعم، قال: إني قد كبرت سني، ودق عظمي، وأنا أخاف أن يكون خالطني في عقلي مثل الذي خالطني في بدني؛ ومالك وعبدالعزيز

32 سير أعلام النبلاء (48/11).

33 الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (381/2).

34 مجموع الفتاوى (410/6).

عالمان فقيهان، إذا سمعا مني حقاً قبلاه وإن سمعا خطأً تركاه، وأنت وذووك ما أجبتكم به قبلتموه)[35].

لذا فكثير ممن يقف في وجهنا بحجة الحرص والغيرة على الحديث؛ لو كان في عهد ابن هرمز وأمثاله لتحفظوا عن تحديثهم وامتنعوا عن إسماعهم.

35 من إعلام الموقعين لابن القيم (198/2).

- المقالة الثالثة:

فتنة السراء في عشرينيات القرن الماضي

آل سعود يعرفون أنفسهم بانتهاء نسبهم إلى ربيعة، وأحياناً يُعَرِّضون بانتسابهم إلى بني أمية، وخاصة يزيد بن معاوية كما في بعض كتبهم، فأما كونهم من ربيعة فإن فتنة ربيعة ظهرت ابتداءً بظهور مسيلمة الكذاب منها، فأخمد أبو بكر الصديق فتنتهم فقتل كثيراً منهم وأعلن الباقي توبتهم.

ثم ظهر خبث بعضهم في العراق في عهد عمر بن الخطاب، قال حارثة بن مضرب: (صليت مع عبدالله بن مسعود الغداة فلما سلم قام رجل فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فوالله لقد بت البارحة وما في نفسي على أحد إحنة[36] وإني كنت استطرقت رجلاً من بني حنيفة وكان أمرني أن آتيه بغلس فانتهيت إلى مسجد بني حنيفة مسجد عبدالله بن النواحة؛ فسمعت مؤذنهم يشهد ألا إله إلا الله وأن مسيلمة رسول الله، فكذبت سمعي وكففت فرسي حتى سمعت أهل المسجد قد تواطئوا على ذلك. فقال: عبدالله بن مسعود عَلَيَّ بعبدالله بن النواحة؛ فحضر واعترف فقال له عبدالله: أين ما كنت تقرأ من القرآن؟ قال: كنت أتقيكم به، فقال له: تب، فأبى، فأمر به، فأُخرِج إلى السوق فجُز رأسه، ثم شاور أصحاب محمد ﷺ في بقية القوم...)[37].

قال محمد أبو زهرة في الخوارج: (ومن أعظم الأمور هذه الأمور التي حفزتهم على الخروج غير الذي اعتقدوه؛ أنهم كانوا يحسدون قريشاً على استيلائهم على الخلافة واستبدادهم بها الناس، الدليل على ذلك أن أكثرهم من القبائل الربعية التي قامت بينها وبين القبائل المضرية الإحن الجاهلية التي خفف الإسلام من حدتها ولم يذهب بكل قساوتها، بل بقيت منها أثارة غير قليلة مستمكنة في النفوس)[38].

---

36 الحِقد والضِّغن.

37 المهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي (343/1).

38 تاريخ المذاهب الإسلامية، صفحة 62.

ويقول قبلها: وهو يصف الخوارج وقد جمعوا بين صفات متناقصة هي التقوى والإخلاص والانحراف والهوس والتشدد والخشونة والجفوة والتهور فيقول: (إن أكثر الخوارج كانوا من عرب البادية الذين عاشوا في فقر شديد قبيل الإسلام، فلما جاء الإسلام لم تزد حالهم المادية حسناً لأنهم استمروا في باديتهم بشدتها وصعوبة الحياة فيها، وأصاب الإسلام شغاف قلوبهم مع سذاجة في التفكير وضيق في التصور وبعد عن العلوم، فتكوّن من مجموع ذلك نفوس مؤمنة متعصبة لضيق نطاق العقول، ومتهورة ومندفعة لأنها نابعة من الصحراء وزاهدة لأنها لم تجد، إذ النفس التي لا تجد إذا عمرها إيمان ومس وجدانها اعتقاد صحيح انصرفت عن الشهوات المادية وملاذ الحياة، واتجهت إلى نعيم الآخرة وكانت هذه الحياة الخشنة في البيداء دافعة لهم على الخشونة والقسوة والعنف، والنفس صورة لما تألف، ولو أنهم عاشوا عيشة رافعة لخفف ذلك من عنفهم وألان صلابتهم ورطب شدتهم)[39].

ثم تبلورت ربيعة في هذه الأيام فظهر خبثها في صورة الدولة السعودية.

ولقد امتزجت هذه الفئة مع أقل المذاهب مرونة وأشد القبائل غلظة؛ امتزجت كلها فانفجرت عن إلحاد في الحرم فيما عرف بحادثة جهيمان العتيبي، وعتيبة قبيلة مضرية؛ هي هوازن، ومعلوم شدة هوازن، فهي من أواخر القبائل إسلاماً ومسكنهم الطائف ومنهم في نجد والقصيم.

وكان الإلحاد في الحرم من طرفين؛ الطرف الأول: جهيمان وأنصاره حيث لم يتشبعوا في أحاديث فتن آخر الزمان والتوقيت الزماني والمكاني لشخصية الإمام المهدي عليه السلام، ولا زال أنصار هذه المدرسة يشغبون بجهلهم على أنصار حركة الإمام المهدي الحق.

الطرف الثاني: قبيلة ربيعة آل سعود؛ حيث تعاملوا مع حركة جهيمان على أنها فرصة حانت لتصفية الحساب مع هذه الجماعة بدون أدنى مراعاة لحرمة البيت، وكان يمكن التعامل معهم بأكثر من طريقة لإنهاء اعتصام جهيمان ومن معه في الحرم، فآل سعود ينتهون إلى ربيعة وهم سلالة مسيلمة الكذاب، القوم الذين رفض أرحم الناس ﷺ أن يدعو لهم بالبركة.

39 تاريخ المذاهب الإسلامية، صفحة 61.

قال ابن عمر: ذكر النبي ﷺ: (اللهم بارك لنا في شأمنا، اللهم بارك لنا في يمننا)، قالوا: وفي نجدنا. قال: (اللهم بارك لنا في شأمنا، اللهم بارك لنا في يمننا)، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، قال في الثالثة: (هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان)[40].

ثم أضيف إلى كون آل سعود من ربيعة، أنهم بدو وقد قال النبي ﷺ: (ومن بدا جفا)[41]، ولذا نهى النبي ﷺ عن إمامة الأعرابي للمهاجر فقال: (لا يؤم أعرابي مهاجراً)[42]، والسبب أنهم في الغالب أقل فقهاً وفهماً قال تعالى: **﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾**[43].

ثم أضاف آل سعود إلى بداوتهم وجفوتهم؛ أن أصابهم الغنى المطغي، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (7)﴾**[44]، وتحول الحال من فقر مدقع إلى غنى فاحش، يكشف عن خلائق اللؤم، قال الشاعر:

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة وأصبحت منها بعد عسر أخا يسر

لقد كشف الإثراء عنك خلائق من اللؤم كانت تحت ستر من الفقر

قال جبرائيل عليه السلام: (وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الأرض فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبُهْمِ يتطاولون فِي الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا)[45]، فقام الرَّجُلُ، فانطلق، فقلنا: يا رسولَ الله، مَنْ هؤلاء الذين نعتَّ؟ قال: (العَرب)[46].

لقد أصبح الصم البكم من آل سعود ملوك الأرض، ومن يسمع خطابات ملوكها ويرى الفصاحة النادرة والبلاغة الساحرة وخاصة اللغة الراقية للهالك عبدالله بن عبدالعزيز يرى دقة

40 رواه البخاري.

41 رواه الترمذي.

42 أخرجه ابن ماجه عن جابر.

43 [التوبة: 97].

44 [العلق: 6-7].

45 رواه البخاري ومسلم؛ واللفظ له.

46 زاده المروزي في "تعظيم قدر الصلاة".

الوصف النبوي: (إذا رأيت الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها)، وإذا كان الصحابة الذين صقلهم النبي ﷺ بيده، وصنعهم على عينه، كانت فتنة السراء كما قال عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: (ابْتُلِينَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا ثُمَّ ابْتُلِينَا بِالسَّرَّاءِ بَعْدَهُ فَلَمْ نَصْبِرْ)[47]، فكيف ببدو نجد؛ رعاة الإبل، الذين بلغ بهم الثراء الفاحش أقصاه، فبلغوا من الانحطاط أدناه؟!.

عن عقبة بن عمرو قال أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: (الإيمان يمان هاهنا، ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر)[48]، قال ابن حجر: (وقيل أراد بأهل الغنم أهل اليمن، لأن غالب مواشيهم الغنم بخلاف ربيعة ومضر فإنهم أصحاب إبل)[49]، ثم تحالف رعاة الإبل –الأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله– تحالفوا مع رعاة البقر؛ الأمريكان، فزادوا "ضغثاً على إبالة"[50].

ومن العجيب أن شيخ نجد هو من أشار بقتل النبي ﷺ؛ (لما جاءوا إلى دار الندوة حسب الميعاد، اعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بشتٌّ له، ووقف على الباب، فقالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى ألا يعدمكم منه رأيًا ونصحًا. قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم)[51].

ولست أدري لماذا لم يرق لإبليس أن يتمثل إلا بهيئة شيخ نجدي؟!، ترى هل لأنه لا يستطيع أن يقوم بدور إبليس على أكمل وجه إلا شيوخ نجد؟!.

---

47 رواه الترمذي.

48 رواه البخاري.

49 فتح الباري (352/6).

50 الإبَّالة: الحُزْمَة من الحَطَب، والضِّغْث: قَبْضَةٌ من حشيش مختلطة الرطب باليابس، وأُنشد:

لي كُلَّ يَومٍ مِن ذُؤالَة ضِغْثٌ يَزيدُ عَلى إبالة

ومعنى المثل بَلِيَّةٌ على أخرى. (من كتاب "مَجمَعُ الأَمثال" للميداني).

51 الرحيق المختوم (125/1).

المهم: ثم إن طواغيت نجد فرحوا بارتماء كثير من العلماء في أحضانهم، فأغدقوا عليهم العطايا والهبات، وقد قال النبي ﷺ: (يا أيها الناس! خذوا العطاء ما كان عطاءً، فإذا تجاحفت قريش على الملك، وكان عن دين أحدكم فدعوه)[52].

وقد: (بلغ الحسن بن عمارة –وكان والياً– أن الأعمش يقع فيه –يذمه ويقدح فيه–، فبعث إليه بكسوة، فلما كان بعد ذلك مدحه الأعمش، فقيل له: كنت تذمه ثم تمدحه؟! فقال: إن خيثمة حدثني عن عَبدالله، عن رسول الله ﷺ، قال: إن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها)[53].

وقِيْلَ: إِنَّ شَرِيْكاً أُدْخِلَ عَلَى المهْدِيّ، فَقَالَ: لاَ بُدَّ مِنْ ثَلاَثٍ: إِمَّا أَنْ تَلِيَ القَضَاءَ، أَوْ تُؤَدِّبَ وَلَدِي وَتُحدِّثَهُم، أَوْ تَأْكُلَ عِنْدِي أَكلَةً. فَفكَّرَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: الأَكْلَةُ أَخَفُّ عَلَيَّ. فَأَمَرَ المهْدِيُّ الطَّبَّاخَ أَنْ يُصلِحَ أَلْوَاناً مِنَ المخِّ المعْقُوْدِ بِالسُّكَّرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَأَكَلَ. فَقَالَ الطَّبَّاخُ: يَا أَمِيْرَ المؤْمِنِيْنَ، لَيْسَ يُفلِحُ بَعْدَهَا. قَالَ: فَحَدَّثَهُم بَعْدَ ذَلِكَ، وَعَلَّمَهُم، وَوَلِيَ القَضَاءَ)[54]. نعم قال الطباخ: ليس يفلح بعدها! فلم يفلح في النجاة من الفخ المحكم.

ولم تفلح السلفية الجامية من إغداق طواغيت آل سعود عليهم بعطايا سخية، ولست أدري هل سينجح على الأقل سلفية اليمن في الفطام من رضاع لبان الثدي السعودي بعد أن صفعوا بوقوف السعودية بجانب الحوثيين في جلائهم من دماج؟!

وإذا كان الإخوان المسلمون ما زالوا يرون في السعودية أنها قائدة السنة، بعد دعمها للسيسي الذي هدم ما تفرغ الإخوان لبنائه من أيام حسن البنا؛ فكيف بالتيار الجامي المدخلي، وقد حاول بعضهم أن يهرب من تنزيل الحديث على نجد اليمامة وقالوا إنما هو نجد العراق؟! ونسوا أن الخلافة العباسية قامت بنجد العراق ردحاً من الزمان وكان منبرها يهز العالم، أما نجد اليمامة فلم تقم فيها خلافة، كل الذي قامت فيه حركة تميمية تصحيحية لم ترق إلى مستوى

52 رواه أبو داود.

53 تهذيب الكمال (275/6).

54 سير أعلام النبلاء(207/8).

الخلافة العباسية التي احتضنتها العراق؛ ثم ولدت لنا دولة النفاق السعودي، التي ذرت الرماد على العيون بسماحها بمحاربة شرك القبور، وعملت بكل قصارى جهدها على إشادة شرك القصور بشكل لم يسبقهم به أحد من العالمين، وذلك أن الدولة السعودية الثالثة ولدت من رحم المخابرات البريطانية ثم الأمريكية كما هو معلن حتى على ألسنة أمراء السعودية كما تجده على قناة الجزيرة في برنامج بلا حدود على لسان طلال بن عبدالعزيز، ولم يكن الدعم البريطاني السخي لهذه الدولة في الصحراء إلا من أجل احتلال الجزيرة، ونهب خيراتها من النفط، ثم تقاسم السعوديون مع الأمريكان النفط وقامت فتنة السراء التي أبطرتهم وأغرقتهم في الخيلاء.

قال النبي ﷺ: (ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني وإنما أوليائي المتقون ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة فإذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافرا حتى يصير الناس إلى فسطاطين؛ فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده)[55].

أولا: لا بد أن نعرف ما هي فتنة السراء ثم ننظر من أين تصاعد دخنها؛ فتنة السراء هي فتنة النفط والبترول، ودول الخليج قبل ظهور النفط والبترول لا تعدو أن تكون سوى صحراء قاحلة، ولم يكن أهلها إلا عنواناً للتخلف والجفاء، وكانوا أبعد ما يكونوا عن الشؤون السياسية للمنطقة والعالم الإسلامي، وتاريخياً لم تكن نجد عاصمة ولا مقراً لأي خلافة إسلامية، فالخلافة الأموية في الشام، والعباسية في العراق، والعثمانية في تركيا، ولم تطفُ نجد على سطح الأحداث إلا ببركات الثروة النفطية، ومن شاهد مناظر الجزيرة قبل عقود وخاصة مدينة دبي لعرف ما معنى فتنة السراء، وطبيعة واهتمامات الخليجيين قبل النفط كانت أكثر من متواضعة، لكن بعد أن ظهرت هذه الثروة اتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ثم استغلوا وجود الحرمين الشريفين فأضفوا الصبغة الشرعية على حكمهم. إذا تبين هذا فإن أطماع الأوروبيين كانت مبكرة للوقف على مركز القوة الدينية والاقتصادية؛ فبداية احتلال الجزيرة العربية كانت من انخداع الشريف

55 رواه أبو داود.

الحسين بالوعود البريطانية، بتمليكه على العرب، ثم دخلت القوات الكافرة جزيرة محمد صلى الله عليه وسلم، وبدأت استكشاف النفط واستخراجه، ونهبه، فدخلت دول الخليج في فتنة السراء من أوسع أبوابها.

وقد بدأ التنقيب عن النفط في السنوات الأولى من حكم عبدالعزيز آل سعود عام 1933م، وهذا يعني أن التفكير بعميل يكون غطاءً لنهب خيرات المسلمين كان مبكراً جداً، حتى قبل ظهور فتنة الدهيماء (الانتخابات)، ولذا جاء النص النبوي دقيقاً حيث قال: (فتنة السراء دخنها –أي بداية ظهورها– من تحت قدمي رجل من أهل بيتي)، وبداية الأمر كان من الشريف الحسين الذي تعاون مع بريطانيا في إسقاط الدولة العثمانية، فلما طالبوه بالتوقيع على بيع فلسطين هنا رفض، ولم يكن رفضه مجدياً ولا ذا قيمة، لأنه قد باعها عملياً، فإنه بإعانته بريطانيا على الدولة العثمانية؛ كان قد طعنها في ظهرها، فطعن ظهراً كان يحميه ويستند إليه، فلما رفض التوقيع على الورق لبيع فلسطين؛ لم يكن لرفضه أهمية؛ فالإنجليز استغنوا بمن هو أكثر منه عمالة؛ وهو عبدالعزيز آل سعود.

فبداية دخن فتنة السراء من البترول والنفط كانت من تحت قدم الشريف الحسين، ولذا وبعد أن أفلست أمريكا بعد حرب فتنام في السبعينيات، فرضت بيع النفط بالدولار الأمريكي فنهض الدولار على قدميه من جديد، وهذا الإجراء لم تتخذه أمريكا إلا لأنها ترى أن منطقة الخليج تحت سيطرتها. ثم رمت أمريكا بالفتات لأمراء الخليج.

ولما فُرض على الاتحاد السوفيتي شراء النفط بالدولار الأمريكي والتي كانت تنتظر سقوطه بفارغ الصبر؛ لما اقترن النفط بالدولار ثارت حفيظة الاتحاد السوفيتي، فحاول أن يصل إلى نفط الخليج عبر طريقين؛ الأول: اجتياحه بالقوة لأفغانستان ليضمن نفط قزوين ويدخل إلى النفط العربي، والثاني: حضر الجزيرة العربية بدعمه دولة جنوب اليمن ، قبل الوحدة اليمنية.

والمهم أن فتنة السراء تصاعد دخنها من تحت قدمي الشريف الحسين؛ أما من قال إن تصاعد دخن الفتنة من تحت قدمي الخميني أو صدام حسين، فإنه تجاوز كل هذه الأمور.

ثم حصل تحالف الأمريكان "الروم" مع العرب ضد العدو المشترك وهو الروس، وذلك في حرب أفغانستان ثم ضد إيران، ثم ضد العراق، كما سيأتي تفصيله -إن شاء الله-.

ثم رضي العراق بروسيا وسيطاً في الصلح بعد احتلال الكويت، وكان "جورباتشوف" هو رئيس روسيا يومذاك، وكان في حالة انهيار صحي، وبلده منهار اقتصادياً، ولذا وُصف بأنه (ورك على ضلع)، كما جاء في الحديث النبوي: (ثمّ يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء...)[56].

وتنزيل وصف: (كورك على ضلع) على "جورباتشوف" هو اجتهاد الشيخ عبدالمجيد الزنداني في التسعينيات، ثم تلاحق عليه العلماء من غير نكير. ولـمّا ألف تلميذه الشيخ محمد الصادق المغلس كتابه "الخلافة القادمة"؛ كرر هذا الإنزال، وقدم للكتاب الشيخ محمد بن إسماعيل العمراني، والشيخ عبدالوهاب الديلمي، والشيخ محمد تقي العثماني، نائب رئيس مجمع الفقه بجدة، والشيخ سلمان الحسيني الندوي، رئيس جامعة الإمام أحمد في الهند. ولم يذكروا أي اعتراض على هذا التنزيل.

فمن اعترض فليأت بقول هو أهدى من هذا القول، وليبين لنا من وافقه عليه.

56 رواه أبو داود.

- المقالة الرابعة:

التحالفات التي تسبق ظهور الإمام المهدي

- **التحالف ضد روسيا**

تحالف المسلون بقيادة أمراء الخليج؛ عملاء الأمريكان ضد روسيا في حرب أفغانستان، ولم يكن هم وهدف الحكام العرب الرحمة بالأفغان والشفقة عليهم، إنما تحالفوا للتخلص من العلماء أصحاب التوجه الجهادي؛ أولاً، ثانياً: ليخلو لأمريكا الجو في الجزيرة العربية؛ بعد سقوط المنافس الروسي فتأخذ ما تشاء من نفط الخليج والعراق، كما أفصح عن ذلك الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون في كتابه (نصر بلا حرب).

ولم يكن ليقع في التاريخ أن يقاتل أفراد من المسلمين في صفوف الروم ضد الروس، فلمّا وقع التحالف الأمريكي العربي، وقع ما هو أشد من ذلك، فلم يقاتل الأمريكي مع المسلم جنباً إلى جنب ويتحمل جزءاً من الأعباء، إنما قاتل المسلمون ضد الروس بالنيابة عن الأمريكان، وألقي العبء كله على عاتق المجاهدين المسلمين، نعم انتصر المسلمون في حرب الأفغان وسقطت منظومة الاتحاد السوفيتي، وغنم المسلمون، فأسلحة المجاهدين التي قاتلوا بها الروس؛ 70% سبعون بالمائة منها مما غنموه من الروس، وسلموا من الإبادة والمجازر التي كان الروس يقومون بها في أفغانستان. وتحقق الحديث: (ستصالحون الروم صلحاً آمنا فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون)[57].

ولكن النصر صب في خانة الروم، فانتصروا بلا حرب كما خططوا له، لكن في المقابل ما كان يظنوه أنه محرقة للمجاهدين العرب؛ بدى على عكس ما توقعوه، إذ ازداد المجاهدون قوة وخبرة وثقافة، وبعد أن كان خطرهم فكرياً أصبح بعد 1990م فكرياً ومادياً، فأول من اصطلى

57 رواه أبو داود.

بنارهم أمريكا نفسها: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[58]، وجاءت ضربات الأبراج وما قبلها وما بعدها.

وإذا قيل إن التحالف إنما وقع مع أمراء الخليج وهم طواغيت لا يمثلون المسلمين فهو قصور في الفهم فإن الجهاد في أفغانستان حظي بمباركة العلماء كالشيخ عبدالله عزام رحمه الله، وكل العلماء شاركوا في تلك الحرب بصورة أو بأخرى، والمجاهدون كانوا رأس الحربة في حرب أفغانستان، وإن لم يكونوا هم في الصورة المباشرة لهذا التحالف.

وعلى أساس التقاء وتقاطع مصالح أمريكا في الموضوع، فإن أمريكا كانت موجودة تحالفاً، باتفاقها مع أمراء الخليج الذين كانوا على صلة مباشرة بالأحداث على الأرض، وكان قادة الجهاد الأفغانيين كسياف ورباني وجميل الرحمن يزورون المملكة بصورة علنية ولا يخفون صلتهم بالسعودية.

إذن انتصرت أمريكا بلا حرب، وانتصر التيار الإسلامي فسلموا وغنموا، ووجد المجاهدون في أفغانستان مراغماً كثيراً وسعة، فازدادوا قوة ووجدوا لهم موضع قدم؛ الأمر الذي أغاظ الأنظمة فأصبح الذهاب إلى أفغانستان أيام الجهاد ضد الروس جريمة، ففي مصر حاكموا كثيراً منهم غيابياً بجريمة ذهابهم إلى أفغانستان.

- **التحالف ضد إيران**

أما التحالف ضد إيران، فإنه لما فشل الروس في مزاحمة الأمريكان في نفط الخليج، وانكسروا في حرب أفغانستان ولم تكن أفغانستان بالنسبة للروس إلا ممراً لضمان نفط قزوين ثم الاستيلاء على نفط الخليج. وفشلت فرنسا في محاولتها مزاحمة أمريكا في نفط الخليج بإرسالها الخميني إلى إيران ودعمته إيقافاً لأطماع الأمريكان. ولاشتراك روسيا وفرنسا في عدو واحد وهي أمريكا وبريطانيا فقد حظيت إيران بدعم من روسيا وفرنسا، فحاولت أمريكا إيقاف المد الشيعي خوفاً من وصول فرنسا وروسيا إلى نفط الخليج عبر حليفتهما إيران، فأنشأ العرب الخليجيون حلفاً مع الأمريكان، ودعموا صدام حسين في قتاله ضد إيران بأكثر من 50 مليار دولار،

58 [فاطر: 43].

والتحالف ضد إيران كان موضع رضى العلماء بذريعة دفع الخطر الرافضي، وفي الوقت نفسه كان يصب في صالح أمريكا. وقال الشيخ عبدالله عزام رحمه الله يومها: (إن الخطر الإيراني الرافضي لا بدّ من صدّه وردّه وأمّا حزب البعث في العراق فمرض سرعان ما يلفظه جسد الأمة لأنه غريب عنها، لكن الخطر الشيعي أخطر منه) وكلامه مسجل بصوته في إحدى المحاضرات في أفغانستان.

ثم لما بدى أن هذا النصر أيضاً يصب في خانة الروم الأمريكان؛ ندم بعضهم فأعلن الشيخ سفر الحوالي –حفظه الله– أسفه عن سكوته لما تبين أن الحرب العراقية الإيرانية؛ كانت طريقاً لدخول الأمريكان إلى الجزيرة، وذلك في محاضرته: فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله، وفي غيرها.

- **التحالف ضد العراق**

أمّا التحالف ضد العراق فأيدته هيئات الإفتاء والعلماء التابعين للبلاط، أما العلماء المستقلون فأدانوا احتلال العراق للكويت لكنهم رفضوا التدخل الأمريكي، أما على مستوى الدول الإسلامية والعربية فلم ترفض دخول الأمريكان إلا دولة اليمن.

إذن فالتحالف لم يقع من الرؤساء فقط حتى يقال إنه لا دخل للمسلمين بهذا التحالف، بل من ابن باز وابن العثيمين وهيئة الإفتاء في المملكة بشكل عام وكذا أيده الأزهر وغيرهم، والمسلمون هم من دفعوا تكاليفه من أموالهم ودمائهم.

بعد هذا كله نقول إن روسيا وإيران محسوبة قديماً أنهم فرس بل حتى العراق، وكل من إيران والعراق كانتا داخلتين في تحالف مع روسيا، ولذا تورك عليها العراق في محاولة إيقاف الحرب فخانته. فالحديث وقّع بوقوع الحدث قال النبي ﷺ: (ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ثم فتنة الدهيماء)[59].

59 راوه أبو داود.

ولذا استمرّ الروم بضرب ذنب الفرس فبعد ضرب الروس في أفغانستان، تابعوا ضربه في إيران ثم العراق عملاً بنصيحة القائل:

فـأحزمُ النـاسِ مَـنْ إنْ نال فُرْصَـتَه لم يجعـل السـببَ الموصـولَ منقضـبا

لا تقطعَـنْ ذنـبَ الأفعـى فترسِـلَها إن كنـتَ شـهماً فـأتْبعْ رأْسَـها الـذنبا

فبعد سقوط الاتحاد السوفيتي ضربوا الموالين له إيران ثم العراق، ولولا أن أمريكا خسرت في العراق لكان الدور سيأتي على سوريا وهي أيضاً ذات ولاءٍ روسي وتتبع المعسكر الشرقي، هذا ولا ننسى أن العراق كان يرغي ويزبد بتهديدات جوفاء أن سيقتلع إسرائيل، الأمر الذي صب الزيت على النار التي كانت مشتعلة أصلاً ضده، وبذا بدأت الملاحم.

- المقالة الخامسة:

أول الملاحم

قال النبي ﷺ: (إنه سيكون رجل من بني أمية بمصر يلي سلطانا ثم يغلب على سلطانه أو ينزع منه ثم يفر إلى الروم فيأتي بالروم إلى أهل الإسلام فتلك أول الملاحم)[60].

ومصر يعني مصر من الأمصار، وليس خصوص دولة مصر، ومن قال إن مصر هي دولة مصر بحجة الصرف والتنوين، فإن القرآن الكريم لم يكن منقطاً ولا مشكلاً وكذا الأحاديث الصحيحة لم تكن مشكلة، وخاصة أحاديث الفتن. وإذا كان القراء اختلفوا في قوله تعالى: ﴿**اهْبِطُوا مِصْرًا**﴾[61] فقرأ الجمهور بالتنوين وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود بغير التنوين[62].

فلو كان هذا الحديث ورد في القرآن لاختلف القراء في صرفه من غير صرفه، فكيف بتشكيل الأحاديث؟!

ومن العجيب أني وقفت على أحدهم وهو يضعف رواية مسلم في دعاء: (إني ظلمت نفسي ظلما كبيراً) فيقول لفظة (كبيراً) شاذة والأصح (كثيراً)، هكذا قال! مع أن القرآن الكريم جاء بحرفين في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ**﴾[63]، فقرأ الجمهور: (إِثْمٌ كَبِيرٌ) وقرأه حمزة والكسائي: (كثير) بالثاء، لكن هؤلاء لضيق أفقهم يفزعون إلى تضعيف الروايات كلما ضاق فهمها في لفظة.

أما أن جابر الصباح فرّ إلى السعودية ولم يفرّ إلى الروم، فهل تريد أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا رأيت رجلاً من أبناء الجبابرة بمصرٍ له سلطان يغلب على سلطانه فيفرّ إلى دولة مجاورة –ترانزيت– ثم يتحول إلى الروم مباشرة؟!.

---

60 رواه الطبراني.

61 [البقرة: 61].

62 مختصراً من تفسير ابن كثير (281/1).

63 [البقرة: 219].

فإن اللغة العربية لا تضيق عن هذا التعبير فلا يحجر واسعاً، فالحديث يتعرض لموضوع الاستقواء بالروم من غير تعرض لمراحل تنقل سعادته، والحديث لا يتعرض كما تتعرض نشرة الأخبار للقنوات العربية حيث أن محور اهتمامهم، خرج سموه، ودخل سموه، واستقبل سموه، وودع سموه؛ وإنما المقصود أنه بعد أن كانت الأمة تنصر بالرعب مسيرة شهر؛ أصبحت تستنصر الكفار وترحل إليهم مسيرة شهر. وبدلاً من الخطابات شديدة اللهجة من أمير المؤمنين الكويتي إلى كلاب الروم كما هي عادة الخلفاء السابقين؛ وقف أمير الكويت أمام مجلس الأمان مستعطفاً مستنصراً بالدول الغربية مستقوياً بهم على صدام حسين وصدره يحشرج بالبكاء، مما اضطر الحاضرين أن يواسوه بالتصفيق الحارّ لمدة دقائق، وقام جميع المجلس له؛ ثم واسوه ونزلوا عند رغبته فأغلقت أمريكا بعدها 150 قاعدة عسكرية في أوروبا؛ ونقلتها إلى الجزيرة العربية، بعد أن دام بقاؤها في أوروبا من الحرب العالمية الثانية، قبل أن ينقلوها إلى العش الجديد.

وقبل ذلك جهز الخليجيون المدن العسكرية المحصنة تحصيناً لا تخطئ العين أنه تحسبٌ لهجمات داخلية لا لعدو خارجي. كما جهزوا الموانئ لاستقبال السفن والبارجات الأمريكية حتى لا يتأخر تفريغ حمولاتها أسابيع كما حصل في فيتنام فقد أساءوا استقبال الغزاة الأمريكان، ولم يكونوا يحملون الكرم العربي والشهامة الخليجية التي يتمتع بها أمراء الخليج!!.

وبلغ من حسن استقبال الخليجيين أنهم كثفوا كمية شراء الأسلحة والطائرات قبل الغزو بسنين، لا لشيء من أذية إسرائيل، بل لتأتي القوات الأمريكية وقد اشتُريَ لها السلاح كاملاً، وهذا أمر لم يفعل عُشره ابن العلقمي للمغول.

بل والأدهى من ذلك والأمر أنه احتلال لا يخسر المحتل تكاليف الاحتلال وإنما تدفع الكويت والسعودية ودول الخليج بشكل عام تكاليف أن تكون محتلة. وهذا يذكر بما وقع من ظلم في سوريا؛ حيث كانوا يقتلون الشخص؛ ويطلبون من أبيه أو عائلته قيمة رصاصة قَتَل ابنهم!.

ثم وصل كرمهم أنهم أعطوه المبرر الشرعي والغطاء الأخلاقي أيضاً؛ فرأوا أن الأمريكان مأجورون إزاء ما يقومون به من احتلال للجزيرة العربية؛ لأنهم ينصرون المظلوم الكويتي ضد الظالم

العراقي، وأصبحت القضية معقد الولاء والبراء عند بعض السلفيين، بل وأصبح من يجيز الاستعانة بالقوات الأمريكية سلفياً خالصاً؛ وإلا ففيه خصلة من الخوارج حتى يدعها، وجعلوا الابتلاء بها أعظم من الابتلاء بمسألة خلق القرآن؛ حتى وإن كان القائد العام للتحالف والذي يرأس المحتلين بمئات الألوف؛ يهودي يدعى (نورمان شوارتسكوف).

وفوق ذلك أنشأوا مقرات استخباراتية لجمع المعلومات حول الإسلاميين الذين يزعجون راحة المحتلين؛ ولم يكن الأمريكان يحلمون بهذا.

وقد استطاب الأمريكان المقام وجثموا على قلب الجزيرة كبعوضة تمتص دم المسلمين، فلما سئل وزير الخارجية الأمريكي يومها: عن مدة بقاء قواتهم في الجزيرة العربية؟، أجاب: نحن لسنا على استعداد أن نأتي كل عشر سنوات لنحل مشاكل المنطقة؛ أي أنه سيتكفل بحل مشاكل المنطقة إلى الأبد.

- **أول الملاحم**

صرحت بعض الصحف البريطانية: (من المحتمل أن تتحول أزمة الخليج إلى حرب مسيحية مسلمة، ويُكشف القناع عن نفاق الغرب ذي الوجهين)[64].

وإنما سميت في الحديث (أول الملاحم) وبدايتها؛ مع أن الحملات الصليبية بدأت من معركة مؤتة، كأن ما مضى من الغزوات قياساً لما وقع وسيقع بعد احتلال الجزيرة؛ كأنه فقط كان تهيئةً للبداية. فاليرموك والقادسية وحطين هي ما قبل بداية الملاحم.

وهذا نظير قول الله تعالى: ﴿**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ**﴾[65]، مع أن أول مسجد هو مسجد قباء؛ لكن النبي ﷺ قال إنه مسجده؛ كما في صحيح مسلم. ومثله: ﴿**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾[66] مع أنه سبقه مسلمون كُثُر؛ لكن ما قبله لقوة إسلامه كأنه هو أولهم: ﴿**قُلْ**

64 من كتاب كشف الغمة عن علماء الأمة (وعد كيسنجر) لسفر الحوالي.

65 [التوبة: 108].

66 [الأنعام: 163].

﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾[67]. ومثل ذلك أيضاً؛ قوله تعالى: **﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[68]، مع أنه سبقه مؤمنون كثر لكن ما قبله لقوة إيمانه كأنه هو أولهم. وقوله: **﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾**[69]، مع أنهم سبقهم كفار به، لكن ما سبق من كفر الكفار أمام كفر اليهود كأنه كفر لم يعتد به. وقيل قريب من ذلك؛ في قوله تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾**[70].

فقوله أول الملاحم كأن ما قبلها ليست ملاحم بالقياس لما بعدها.

وتأمّل في الأرقام التالية: قُتل في معركة القادسية ثمانية آلاف ونصف، وشهداء اليرموك كانوا ثلاثة آلاف[71]. لكنا حين نتأمّل كم قتل في العراق من 1991م إلى الآن؟! وكم قتل من 2011م إلى الآن في ليبيا وفي مصر؟! وكم قُتل في سوريا؟!

يتبين أن عدد شهداء الفتوحات الإسلامية للعراق؛ وعدد شهداء الفتوحات الإسلامية للشام؛ أمام أعداد الشهداء والقتلى من بداية التسعينات إلى يومنا لا يُقارن؛ فبينهما فارق شاسع.

هذا بالنسبة لعبارة (أول الملاحم).

الأمر الآخر وهو الأهم! أن العدو وصل إلى عقر دار الاسلام، ولأول مرة تُحتل الجزيرة العربية من عدو خارجي، بل حتى قبل الإسلام لم تطمع فارس ولا الروم أن تدخل الجزيرة، ولذا ولوا عليهم من أبناء جلدتهم الغساسنة والمناذرة.

هذا وبدلاً ممن أن يحسن العلماء على الأقل تشخيص الداء، من القول بأن الحالة هي حالة استكانة للكفار، وتقديم كافة التسهيلات للاحتلال؛ خاضوا معركة وهمية كلامية طاحنة في

67 [الأنعام: 14].
68 [الأعراف: 143].
69 [البقرة: 41].
70 [الزخرف: 81].
71 قصة الفتنة (169/1).

جواز الاستعانة بالكفار ضد صدام البعثي أم لا!! وحاولوا أن يهونوا من أمر عظيم لم يسبق أن حصل طوال 1400 سنة.

هذا ولم يكن رسول الله ليذكر في أحاديث الفتن خروج النساء الكاسيات العاريات، ويهمل احتلال الجزيرة العربية من قبل الروم وبتواطؤ من حكام المسلمين وبمباركة من هيئة كبار العلماء؛ قال أبو ذر: (تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو ذكرنا منه علماً)[72]. أيكون رسول الله ﷺ حريصاً على إيصال معلومات في مادة الأحياء ويترك أمراً بهذه الخطورة؟! أليس وقوفنا على هذه المعاني من الحديث هو التعظيم الحقيقي لحديث رسول الله وحمله على أعظم محامله؟! وإن كان بعض العلماء يرون أن اللحن في الحديث من أنواع الكذب على رسول الله!

أرأيتم لو أن روما الفاتيكان فتحها المسلمون بتواطؤ من حكام إيطاليا، وحكام فرنسا، وبمباركة من البابا، وكبار هيئة العملاء للمسلمين، ومن خالف في هذا من النصارى فهو من الخوارج؟!.

طبعاً لا ننسى أنه لا يلزم أن تُحرق الفاتيكان. فقط سيعطل دورها وفاعليتها؛ تماماً كما فعلوا بالحرمين الشريفين، حيث سُخروا لخدمة الخونة، وكما هو حال الأزهر؛ الذي سُخر في خدمة السيسي.

تُرى هل سيُروض النصارى؟! إلى درجةٍ بحيث لو ولينا عليهم أحدهم وكان عميلاً لنا، هل تتوقع أن يدعو له الباباوات بالحفظ ويرون طاعته واجبة كما يفعل علماؤنا؟!.

بل قبل ذلك؛ هل يطيق المسيح الدجال؛ أن يبقى مختفياً ولا يظهر بمجرد أن يتوجه المسلمون إلى روما؟!.

وفي المقابل؛ فهل يليق بالإمام المهدي أن لا يبدأ قدَرُه بالظهور وقد نزل الروم في ديار الحرمين الشريفين بتواطؤ من حكامها؟!.

---

72 رواه أحمد والطبراني.

وهنا سجل التاريخ لليمن موقفاً لا يُنسى!

ففي الوقت الذي باركت هيئة كبار العلماء احتلال الجزيرة العربية، وأخرجوه بلباس فقهي يغطي سوأته وعورته؛ إذ قالوا "جواز الاستعانة بالكفار"، في ذلك الوقت العصيب؛ قالت دولة اليمن كلمة الحق المرّة؛ برفض هذا الاحتلال، ولم تتجرأ أي دولة عربية ولا إسلامية مشاركتها في ذلك؛ الأمر الذي هُجِّر ورُحِّل اليمانيون على إثره.

ومن هنا كانت اليمن قد دفعت كلفة وفاتورة وراثتها للحرمين الشريفين وريادتها للمسلمين.

- المقالة السادسة:

قضية ترحيل اليمنيين

جلس عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في مسجد دمشق ليس فيهم إلا أهل اليمن، فقال: يا أهل اليمن! كيف أنتم إذا أخرجناكم من الشام واستأثرنا بها عليكم؟ قالوا: أو يكون ذلك؟ قال: نعم ورب الكعبة. فقال: ما لكم لا تكلمون؟ فقال بعض القوم: أفنحن أظلم فيه أم أنتم؟ قال: بل نحن. فقال اليمانيون: الحمد لله، سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، قال عبدالله: إن أدركتُ ذاك؛ كنت مع أهل اليمن، ولهم الغَلَبة)[73].

أولاً:

لفهم هذا الأثر؛ نقف على الحدود الجغرافية لليمن التي جاء الأثر بأن اليمنيين سيرحلون إليها. ونتساءل هل الحدود الجغرافية لليمن تنتهي إلى حرض ومنفذ الطوال؟! أم إلى نجران وعسير وأبها؟! أم إلى بيشة، أم إلى الباحة، أم إلى .... ؟!. تُرى؛ ما هو الضابط في الحدود الجغرافية لليمن؟!.

بعيداً عن حدود سايس وبيكو فإن اليمن (في عرف العرب يُطلق على كل ما هو إلى جهة الجنوب من الجزيرة العربية؛ والشَّامُ فِي عُرْفِ الْعَرَبِ كُلُّ مَا هُوَ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ)[74]، وتأمّل دقة التعريف حيث قال في عرف العرب، ولذا فالشام تمتد حتى جبل القبق من أذربيجان[75]، لذا فكلٌ من اسم اليمن والشام؛ أسماءٌ لجهاتٍ لا لأماكن، فلم تسم اليمن باليمن إلا لأنها على يمين البيت، والشأم إلا لأنها على يساره، وفي الحديث: (ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان؛ فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم...)[76]،

73 رواه نعيم بن حماد.

74 المعالم الجغرافية لعاتق الحربي (117/1).

75 صفة جزيرة العرب للهمداني (64/1).

76 رواه البخاري.

قال ابن حجر: (حديث عدي: (فينظر أشأم منه) وسميت أرض الشام شأما لأنها عن يسار الكعبة)[77]. بل إن ارتباط الكعبة بالجهات المكانية وصل إلى حد: (أن الغيث إذا كان ناحية الركن اليماني كان الخصب باليمن، وإذا كان بناحية الشامي كان الخصب بالشام، وإذ عم البيت كان الخصب في جميع البلدان)[78].

وعليه فإخراج اليمانيين من جهة شمالية يصح أن يطلق عليه أنه إخراج من الشام، بل لو كان هناك انتقاد لانتقد أن يقال إخراج اليمنيين من الجزيرة العربية، لأن اليمن هي في ضمن الجزيرة. ولو قيل إخراجهم من وسط الجزيرة فهذا تعبير لا يخلو من قصور، حيث أُخرج أهل اليمن من جميع ما يسمى اليوم بالسعودية ومنها تبوك وعرعر وسكاكا وغيرها وكلها مناطق شمالية.

ومما يعزز ذلك؛ الأثر الآخر عن أرطاة قال: (حتى يأمر بإخراج أهل اليمن من الشام والحمراء فيخرجون حتى ينتهوا إلى أطراف الريف)[79]، فقوله (أطراف) يعني أنهم سيخرجون أيضاً من بداية ما يطلق عليه يمناً إلى أطراف اليمن؛ لأن بيشة وعسير وأبها؛ كلها مناطق يمنية، وسيخرجون إلى أطراف ما يسمّى اليمن أي منفذ الطوال وحرض. وأيضاً عبدالله بن عمرو لم يكن شامياً يعني لم يكن سورياً ولا فلسطينياً ولا لبنانياً ولا أردنياً. وإنما كان قرشياً فكيف يفسر قوله: (إذا أخرجناكم من الشام) هل يعني أن قريشاً ستسيطر على الأردن وسوريا ولبنان، ثم يرحل إليها اليمانيون ثم يخرجون منها؟!.

وقد ورد الحديث بلفظ: (إذا أخرجتكم مضر)!

فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه يقول: كيف أنتم يا معشر أهل اليمن إذا أخرجتكم مضر؟ قلنا: يكون ذلك يا أبا محمد؟! قال: نعم، والذي نفسي بيده وهم لكم ظالمون، فقال

77 فتح الباري (136/1).

78 من تفسير القرطبي (139/4).

79 رواه نعيم.

رجل من اليمن: سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، قال عبدالله: أما لو أدركت ذلك لكنت معكم)[80].

وقبيلة مضر معروف أن موطنها في الحجاز، ومما يعزز ذلك ويقويه؛ أن عادة عصب الرأس بعمامة كانت وما زالت عادة يمانية، وهي عرف يجري عليه الناس في جميع المناطق التي تقع إلى يمين الركن اليماني؛ بل حتى هي عادة أهل مكة، بخلاف لبس العقال؛ فهي عادة شامية يلبسها أهل العراق وسوريا والأردن وشاركهم فيها السعوديون. والسعوديون يسيطرون على المناطق الشمالية للحجاز كتبوك وفيها قاعدتهم العسكرية وهي القوة الضاربة لآل سعود، وكلها تقع في الشام وهذا يعزز ما فهمناه من الأثر.

وبعد هذا كله، إذ ليست قضيتنا هنا! وإنما القضية الأساسية ولبّ الموضوع ..

هل هُجِّر اليمانيون من السعودية؟! وأنزلتهم السعودية منزلة يهود بني قينقاع وبني النضير؟!

ألم يكن هذا ظلماً بيناً لليمنيين؟!

هل في الوقت الذي كان يدخل فيه جنود المارينز الأمريكان بجميع عتادهم، وتستقبلهم السعودية ودول الخليج بالترحاب وحفاوة الاستقبال وكرم الضيافة؛ -في نفس الوقت- كان العمال اليمنيون المسلمون يطاردون في شوارع مكة والمدينة وجدة؟! بل بعضهم داخل رحاب الحرمين الشريفين؟!

هل لو حصل تهجير للمسلمين من أوروبا -مثلاً- إلى بلدانهم العربية؛ هل هذا يعدّ ظلماً؟!

فكيف إذا كان الترحيل من أرض مهبط القرآن ونزول الوحي؟!

وتستعيض عنهم بقوات المارينز الأمريكي؛ ألا يكون ظلماً؟!

هنا قضيتنا!!

هل ينتظرون أن يُهجر ويرحل اليمانيون من سورية والأردن ويتجرعوا مرارة التهجير -مرة أخرى- ليقولوا بوقوع الأثر؟! أم سيحتج القوم يومها بضعف السند؟!!

---

80 رواه نعيم بن حماد.

وحتى من هُجِّر ورُحِّل من تبوك والمناطق الشمالية للمملكة؛ فإنه لا بد أن يرحل مرةً أخرى! لأن تبوك ليست من الشام بحسب سايس وبيكو اللذين نزلا منزلة البخاري ومسلم!.

ثانياً:

ما هو السبب الذي جعله الأثر سبباً لانتصار وغلبة اليمنيين؟! أليس هو إخراجهم ظلماً؟! وتنزيلهم منزلة يهود بني قينقاع والنضير الذين كتب عليهم الجلاء في الدنيا؟!

هل إذا هُجِّر اليمنيون من الأردن وسوريا –وهم لا تربطهم حدودٌ مشتركةٌ مع اليمن– فإن اليمنيين ستكون لهم الغلبة لأنهم هُجِّروا ظلماً؟! **﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾**[81]؟!

أما إذا هُجِّروا من السعودية وهي تربطها مع اليمن حدود مشتركة فإن النصر والغلبة لن يكونا لصالح اليمنيين؟!

إن اخراج اليمنيين ظلماً وخاصةً من أرض مهبط القرآن ونزول الوحي؛ جريمة سعودية جعلها الله عاملاً نفسياً لدى اليمنيين لبغض السعودية، حتى ممن يؤيدون دول التحالف، وعاصفة الحزم، فإنهم إنما يؤيدونها بغضاً لمن حكم الديار –من الحوثيين–، لا حباً في السعودية!.

ومهما قُلِّل من شأن التهجير والإجلاء؛ فإن أثره عميق في قلوب اليمنيين.

لذا فأثر عبدالله بن عمرو الماضي بدأ بذكر الجلاء وانتهى بذكر الغلبة!

والحرب القائمة الآن تمتد جذورها إلى الجلاء، لأن الجلاء هو سبب الحرب؛ قال تعالى: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ... (40)﴾**[82].

وقد رأى اليهود الذين ضُربت عليهم الذلة والمسكنة، أن إجلاءهم من ديارهم؛ سببٌ للقتال فقالوا: **﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا﴾**[83].

---

81 [الشعراء: 227].

82 [الحج: 39-40].

بينما لا يراه معارضونا كذلك!!

فيا ضيعة العلم باتخاذ الرؤساء الجهال!!

ومهما حاولوا تغييب هذا البعد في الصراع القائم، فإنه حاضر في عدالة الله سبحانه وتعالى فالإجلاء جريمة لا تسقط بالتقادم: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾[84].

وسنة الله التي لا تقبل التبديل ماضية عليهم؛ قال تعالى: ﴿**وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأرض لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77)**﴾[85].

وفي عدالة الله؛ أن الجزاء من جنس العمل فما ارتكبه السعوديون؛ جزاؤه ألا أقل من أن يُخرج كل من شارك في إجلاء اليمنين من ديارهم، ويسكن بدلاً عنهم اليمنيون؛ قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأرض مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾[86].

ولما قال ملأُ الكفار من قوم شعيب عليه السلام: ﴿**لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾[87]؛ كانت العقوبة من نفس الجناية؛ قال تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**﴾[88].

وما دام أن اليمنيين هم من الورثة للأرض التي رحلوا وهجروا منها بمقتضى المعطيات الماضية؛ فلا بد أن يكون على رأسهم رجلٌ ذاق لوعة التهجير ومرارة الترحيل، و(لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار)[89].

---

83 [البقرة: 246].

84 [إبراهيم: 42].

85 [الإسراء: 76-77].

86 [إبراهيم: 13-14].

87 [الأعراف: 88].

88 [الأعراف: 88-91].

89 رواه البخاري.

بل ولا بد أن يضيف إلى تلك المرارة مرارةٌ أشدّ منها؛ تجعله أكثر اليمنيين حرصاً على الأخذ بالثأر من الأسرة المسؤولة عن تهجير اليمنيين، وهذه المرارة ذكرتها الآثار ..

قال علي: (يُبعث بجيش إلى المدينة فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد ﷺ، ويُقتل من بني هاشم رجال ونساء، فعند ذلك يهرب المهدي والمبيض من المدينة إلى مكة، فيُبعث في طلبهما وقد لحقا بحرم الله وأمنه)[90].

وقال الإمام الباقر: (ويبعث -أي السفياني- بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً، ويهرب المهدي والمنصور منها، ويُؤخذ آل محمدٍ صغيرهم وكبيرهم، ولا يترك منهم أحد إلا حُبس، ويخرج الجيش في طلب الرجلين)[91].

طبعاً السطحيون يريدون تحقق الرواية حرفياً ويغفلون عن فقه الحديث.

ولتقريب المعنى! فإن النبي ﷺ أمّر على الجيش الذي سيتوجه إلى قتال الروم أسامة بن زيد، وامتعض بعض الصحابة من ذلك فطعنوا في إمارته، فقال بعضهم: إنه من الموالي، وقال آخرون: إنه حديث السن، صغير العمر.

ولكن النبي ﷺ كان مصراً على ذلك؛ وقال: (إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده)[92].

تُرى لماذا كان حريصاً كل هذا الحرص على بقاء هذا الرجل في كبينة القيادة؟!.

يميط ابن تيمية اللثام عن ذلك؛ فيقول: (أمّر أسامة بن زيد ليأخذ بثأر أبيه زيد بن حارثة لما قُتل في غزوة مؤتة)[93].

ولذا فأخْذُ آل محمد صغيرهم وكبيرهم؛ هو مؤهلٌ مهمٌ في شخصية الإمام المهدي!

---

90 رواه نعيم بن حماد.

91 البحار.

92 رواه البخاري ومسلم.

93 منهاج السنة النبوية (343/5).

وبعد هذا .. فعدم الدقة في الرواية في سرد أحداث القبض على آل محمد، ويخرج من مكة أو المدينة، ونحو ذلك؛ فهي أوصاف يعبر عن الفقهاء بالأوصاف الطردية لخلوها من التأثير والملاءمة إذ (لا مُناسبَةَ بينَهَا وبين الحُكمِ؛ فلا تصلُحُ أن تكونَ أوصافًا مُناسبَةً للتعليلِ بها، مثلُ كونِ الخمرِ أحمرَ، وكونِ القاتلِ أسودَ أو طويلاً أو رجلاً، وكونِ السَّارقِ غنيًّا والمسروقِ منهُ فقيرًا، وكونِ المواقعِ زوجتَهُ في نهارِ رمضانَ أعرابيًّا، وهكذا سائرُ الأوصافِ الاتِّفاقيَّة)[94].

قال ابن تيمية في قول الله تعالى: **﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾**[95]؛ قال: (فَقَدْ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى الْأَدَبِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَتَعْلِيمِ مَا يَنْبَغِي فِي مِثْلِ هَذَا. فَإِنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ عنهمْ بِثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ ضَعَّفَ الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ وَسَكَتَ عَنْ الثَّالِثِ فَدَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ؛ إذْ لَوْ كَانَ بَاطِلًا لَرَدَّهُ كَمَا رَدَّهُمَا ثُمَّ أَرْشَدَ إلَى أَنَّ الِاطِّلَاعَ عَلَى عِدَّتِهِمْ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ فَيُقَالُ فِي مِثْلِ هَذَا: **﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾** فَإِنَّهُ مَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ إلَّا قَلِيلٌ مِنْ النَّاسِ مِمَّنْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ فَلِهَذَا قَالَ: **﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾** أَيْ لَا تُجْهِدْ نَفْسَك فِيمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ وَلَا تَسْأَلْهُمْ عَنْ ذَلِكَ)[96].

وإذا سيطر اليمانيون على إمكانات دول الخليج ومواقعهم الجغرافية، وولوا عليهم رجلاً يقال له محمد؛ فهذا يعني انقلاب العالم كله رأساً على عقب!.

يقول الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون في مذكراته: (مسألة من يسيطر على ما في الخليج العربي والشرق الأوسط تشكل مفتاحاً بيد من يسيطر على ما في العالم)[97].

وبعد هذا!

هل أدركت لماذا تحاول المخابرات السعودية الاختفاء خلف بقايا السلفيين، طمساً لهوية الصراع وحقيقة القضية؟!.

---

94 تيسير علم أصول الفقه للجديع (43/2).

95 [الكهف: 22].

96 مجموع الفتاوى (367/13).

97 كشف الغمة عن علماء الأمة (وعد كيسنجر) لسفر الحوالي، صفحة 14.

قال تعالى: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[98].

ألا يخطر ببالكم سؤال؟

وهو: لماذا لم تَرْوِ الآثار وتَنْقُلِ الأخبارُ إلا إجلاء اليمنيين؟!!

لماذا يجلى اليمنيون حصراً؟!!

نعم .. أُخرجت بعض الجاليات العربية من السعودية! لكن الجلاء التام؛ والموت الزؤام؛ كان حظه الأوفر ونصيبه الأكبر لأهل اليمن!.

وكان من الاحتقار والإهانات لأهل اليمن ما جعلهم مضرب الأمثال. في ذلك: (أبو يمن)!.

و﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾[99]؛ قال النبي ﷺ: (الأزد أسد الله في الأرض؛ يريد الناس أن يضعوهم، ويأبى الله إلا أن يرفعهم، وليأتين على الناس زمان؛ يقول الرجل: يا ليت أبي كان أزدياً، يا ليت أمي كانت أزدية)[100].

وقد وقع الشطر الأول من الحديث: (يريد الناس أن يضعوهم)!

ونحن موقنون بآخره: (ويأبى الله إلا أن يرفعهم، وليأتين على الناس زمان؛ يقول الرجل: يا ليت أبي كان أزدياً، يا ليت أمي كانت أزدية).

والأثر الثاني الذي يعزز فهمنا للأثر الأول:

قال الوليد: (يلي المهدي؛ فيظهر عدله ثم يموت، ثم يلي بعده من أهل بيته من يعدل، ثم يلي منهم من يجور ويسيء، حتى ينتهي إلى رجل منهم فيجلي اليمن إلى اليمن ثم يسيرون إليه فيقتلونه –أو: فيقاتلونه– ويولون عليهم رجلاً من قريش يقال له محمد. وقال بعض العلماء: إنه من اليمن؛ على يدي ذلك اليماني تكون الملاحم)[101].

98 [القصص: 6].

99 [الأحزاب: 22].

100 رواه الترمذي.

101 رواه نعيم بن حماد.

لو كان هناك إنصافٌ لفُسِّر الأثر الثاني بالأثر الأول؛ لأنهما متعانقان في المعنى.

ولو أنعشنا الذاكرة إلى قبل قرابة المائتي سنة؛ أيام الدولة السعودية الأولى –والدولة السعودية الحالية؛ هي الامتداد الثالث للدولة السعودية الأولى–: فقد وليها بعد الإمام محمد بن سعود؛ ابنه عبدالعزيز وهو تلميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ المجدد وناصر دعوته، وقد طعنه رجل شيعيٌ عراقيٌ؛ وهو يؤدي صلاة العصر بالمسجد، فاستشهد عبدالعزيز بن محمد بن سعود على فراشه بعد ذلك متأثراً بالطعن.

ولعموم عدله؛ سماه ابن غنام، وابن جنيد؛ بالمهدي، وهذه ليست مصادفة!

بل ترتيب وتدبير إلهي حتى ينطبق عليه الوصف النبوي بدقة، ثم ولي من أسرته من عدل ثم ولي من جار وأساء.

فالدولة الثالثة امتداد للأولى وكلها تنتهي إلى سعود.

حتى انتهت إلى رجل منهم وهو فهد الذي بدأ بارتكاب جريمة الجلاء.

وتتمة الأثر: (ثم يسيرون إليه فيقتلونه ويولون عليهم رجلاً من قريش يقال له محمد)

عبارة: (فيقتلونه) يمكن قراءتها: (فيقاتلونه) بإشباع فتحة القاف حتى تصير ألفاً.

ففي القرآن الكريم قرأ جمهور القراء: ﴿**وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾[102]، بألف بعد القاف، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿**وَلا تَقْتُلُوهُمْ**﴾ بدون ألف بعد القاف.

فاختلفت القراءة مع أن الرسم العثماني واحد، فالألف يمكن كتابته ويمكن حذفه لذا اختلف فيه العلماء هل هو حرف أم حركة.

وتبقى العبارة بالشكل الآتي: (ثم يسيرون إليه فيقاتلونه)، فلو جاءت العبارة: (ثم يسيرون إليهم فيقتلونهم) لكان الحديث تحقق حرفياً. لكن الدقة في أحاديث الفتن لا سبيل إليها.

بل الخطأ في ألفاظ صحيح البخاري وارد، فكيف بغيرها؟!

---

102 [البقرة: 191].

فمن ذلك قول النبي ﷺ: (والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي!). قال ابن كثير: (فقد انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم، وفي لفظ له: (ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به)، وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ)[103].

وهذا الكلام من ابن كثير –وهو صاحب القدم الراسخة في علم الحديث– يدل على أن هذا الأمر لا يُنكر مثله في البخاري؛ ففي غيره من باب أولى!

وفي موضعه ستأتي أمثلة أخرى على ذلك في الصحيحين –إن شاء الله–؛ أمثلة تشبع الجوعة العلمية لهؤلاء؛ الذين يريدون أن يخضعوا أحاديث الفتن لما لم يطقه صحيح البخاري!.

وقضية الجلاء مظلمة إنسانية وحقوقية!

ولذا لما (قال اليمانيون: أفنحن أظلم فيه أم أنتم؟، قال عبدالله بن عمرو: بل نحن، فقال اليمانيون: الحمد لله، سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، قال عبدالله: إن أدركتُ ذاك كنت مع أهل اليمن، ولهم الغلَبة).

وقول عبدالله: (ولهم الغلبة): كلام عارفٍ بأن الإخراج والإجلاء ظلماً؛ يعقبه قتال، والغلبة للمظلوم.

وهو يؤيد الأثر القائل: (ثم يسيرون إليه فيقاتلونه)، فانظر كيف توافق الأثران! وصرخ الواقع حالفاً على صحته، ثم يصمُّ القومُ آذانهم عن سماعه، ويستغشون ثيابهم عن رؤيته.

لكن .. ما دام قد تحقق أول الأثر، فنحن ننتظر تحقق بقيته من غلبة اليمنيين وتولية محمد عليهم!

والأثر يقول: (حتى ينتهي إلى رجل منهم، فيجلي –أي فهد– اليمن إلى اليمن، ثم يسيرون إليه فيقتلونه ويولون عليهم –أي اليمنيين– رجلاً من قريش يقال له محمد)!

103 من تفسير ابن كثير (277/7).

- المقالة السابعة:

القول الجلي في إيضاح ما اشتبه في قضية الإمام المهدي

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[104].

- **قضية العائذ الثاني**

قال تبيع: (سيعوذ بمكة عائذ فيقتل، ثم يمكث الناس برهة من دهرهم ثم يعوذ آخر فإن أدركته فلا تَغْزُوَنَّه فإنه جيش الخسف)[105]، وقد نشرت الحكومة السعودية أنها قتلت القحطاني واستنطقت أهله، ومنهم أخوه الشقيق سعيد؛ استنطقتهم على شاشة التلفاز، وكلهم جزموا بأن صورة القتيل تخص محمد القحطاني، ومن شكك في مقتل القحطاني؛ فهو من عليه إثبات خلاف الظاهر.

وإنما استفدنا القرب الزمني من إضافة الدهر إلى الناس لأن مدلول عبارة: (ثم يمكث الناس برهة من دهرهم) ليست كقولنا: (ثم يمكث الناس برهة من الدهر) بحذف الضمير العائد إلى الناس، لأن معنى عبارة (من دهرهم) أن يبقى الناس هم؛ من دهرهم هم، لا من دهر غيرهم. ولا معنى لها غير ذلك.

وهذا معنى ظاهر يدركه كل من له حس لغوي بخلاف عديمي الإحساس، لذا فلا يجوز أن يحمل العائذ الأول على أنه عبدالله بن الزبير، لأن بينه وبين القحطاني مفاوز تنقطع أعناق الإبل دونها.

ومن قال إن عُمُر القحطاني 45 سنة وزعم أنه ولد في 28 سبتمبر 1935م، ووهم؛ فإن هذا هو تاريخ ولادة جهيمان، القائد العسكري لمحمد بن عبدالله القحطاني.

---

104 [التوبة: 115].

105 رواه نعيم.

أما محمد بن عبدالله القحطاني فإن عمره يوم قتل 25 سنة، ولن أحتاج إلى توثيق ذلك بأكثر من شهادة أخيه سعيد بن عبدالله القحطاني على التلفزيون السعودي في يوم الحادث وهو في معرض التعرف على صورة أخيه محمد بن عبدالله القحطاني، إذ سأله المذيع هل هو أخٌ شقيق لمحمد أم أنه أخوه لأبيه؟ فأجاب بأنه الأخ الشقيق لمحمد وأن عمره 29 سنة، وعُمر محمد 25 سنة. وأخوه أعلم به! وعرضه على شاشة التلفاز السعودي بالصوت والصورة أمر لا يداخله شك، وقد حُكم على سعيد بن عبدالله القحطاني بالقتل في نفس القضية.

وكون عمره خمساً وعشرين سنة؛ لا ينقض الأثر أنه لم يكن ابن عشرين؛ إذ أن العرب تجبر الكسور كما لا يخفى.

وقد انتقد البعض الخلط بين الأثرين، فما المانع من الخلط بين الآثار وهو أمر متعارف عليه بين أهل العلم؟! وموجود حتى في صحيح البخاري؛ في حديث الإفك قال الزهري: عن 1- عروة بن الزبير 2- وسعيد بن المسيب 3- وعلقمة بن وقاص الليثي 4- وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة، رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله منه.

قال الزهري: وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم أوعى من بعض وأثبت له اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي، حدثني، عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا.

قال السخاوي: (فقد صح كون الزهري استعمل التلفيق وهو جائز)[106].

وقال النووي: (هذا الذى ذكره الزهري من جمعه الحديث عنهم جائز لا منع منه ولا كراهة فيه)[107]. وقد أجاز النووي وغيره التلفيق بين روايات الأذكار والأوراد.

وكذا هي عادة المنذري في الترغيب والترهيب؛ قال عنه الألباني: (ما في الترغيب؛ بعضه من تلفيق المؤلف نفسه بين الروايات وهو من عادته فيه)[108].

106 فتح المغيث شرح ألفية الحديث (307/2).

107 شرح النووي على مسلم (102/17).

108 السلسلة الصحيحة للألباني (1210/7).

بل إن التلفيق بين القراءات في آية واحدة جائز كما نقل عن ابن الجزري قوله: (وإن كان على سبيل التلاوة جاز)[109]؛ فلو أن قارئاً أمّ الناس فصلى ولفق بين القراءات لينوع على الأسماع ألفاظ القرآن جاز ذلك، فكيف بالجمع بين الأحاديث؟! والقراء يفعلون ذلك أثناء التلاوة في المحافل القرآنية فيخلطون بين القراءات السبع، ولا زال الناس يخطبون في المساجد فيجمعون بين الآيات مثل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[110]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[111].

والعائذ الأول بمنزلة الفجر الكاذب الذي يلوح في الأفق قبيل ظهور الفجر الصادق .. فالقرآن جعل الأحداث الكونية حجةً على مسائل شرعية؛ فمن ذلك لما قال الكفار: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[112]، جاء من ضمن الرد عليهم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾[113]. قال ابن عاشور: (وَقَدْ جُعِلَ مَدُّ الظِّلِّ وَقَبْضُهُ تَمْثِيلًا لِحِكْمَةِ التَّدْرِيجِ ... لِيَكُونَ هَذَا التَّمْثِيلُ بِمَنْزِلَةِ كُبْرَى الْقِيَاسِ لِلتَّدْلِيلِ عَلَى أَنَّ تَنْزِيلَ الْقُرْآنِ مُنَجَّمًا جَارٍ عَلَى حِكْمَةِ التَّدَرُّجِ لِأَنَّهُ أَمْكَنُ فِي حُصُولِ الْمَقْصُودِ)[114]، فما جعله القرآن سبيلاً للاحتجاج فلا شك في حجيته.

بقيت مسألة حذف عبارة جاءت أول الأثر: (أن المهدي يعيش أربعين عاماً ثم يموت على فراشه) فالأثر كما يلي؛ قال أرطاة: (بلغني أن المهدي يعيش أربعين عاماً ثمّ يموت على فراشه. ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الأذنين على سيرة المهدي بقاؤه عشرين سنة ثم يموت قتلاً بالسلاح، ثم يخرج رجل من أهل بيت النبي ﷺ مهديٌ حسن السيرة، يفتح مدينة قيصر، وهو آخر أمير من أمة محمد ﷺ، ثم يخرج في زمانه الدجال، وينزل في زمانه عيسى بن مريم عليه السلام)[115].

---

109 الإتقان في علوم القرآن (292/1).

110 [النساء: 87].

111 [النساء: 122].

112 [الفرقان: 32].

113 [الفرقان: 45].

114 من التحرير والتنوير (38/19).

115 رواه نعيم.

فنقول: قد يكون قُصد به عبدالعزيز بن محمد بن سعود؛ الذى خلف والده في الحكم ووقف مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونشر الدعوة بالسيف حتى كربلاء في شمال العراق، وقد ولد عام 1132هـ، ودام حكمه من سنة 1179-1218هـ أي 39 سنة والعرب تجبر الكسور فيصح أن يقال 40 سنة. وقد طُعن في الصلاة ثم لبث يعالج فمات على سريره. ويكون معنى يعيش أربعين سنة أي في الحكم. أقول قد يكون هذا! وقد يكون الراوي وهم فيه، وأخطأ!.

وقولنا أن الراوي أخطأ لا يُعاب؛ وهو موجودٌ في أفضل بضاعة لدى المحدثين؛ في الصحيحين، ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾[116]، ففي البخاري ومسلم في حادثة الإسراء؛ أن النبي ﷺ لقي الأنبياء في السماوات (إدريس في الثانية وهارون في الرابعة، وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله)[117]. ولكن أكثر الروايات الصحيحة: (أن إدريس في الرابعة وهارون في الخامسة وموسى في السادسة وإبراهيم في السابعة). قال ابن كثير في تفسيره بعد أن ساق الحديث الذي وقع فيه الوهم: (هكذا ساقه البخاري في "كتاب التوحيد"... ورواه مسلم، عن هارون بن سعيد، عن ابن وَهْب، عن سليمان قال: "فزاد ونقص، وقدم وأخر"، وهو كما قاله مسلم، رحمه الله، فإن شريك بن عبدالله بن أبي نَمِر اضطرب في هذا الحديث، وساء حفظه ولم يضبطه)[118].

فإذا حصل الوهم والغلط في حادثة وقعت بمكة، واستمرّ النبي ﷺ بعدها أكثر من عشر سنين، وهو بين أظهر الصحابة، ودواعي التأكد للحفظ والضبط متوفرة؛ ومع ذلك حصل في روايتها الوهم والغلط فكيف بغيرها؟!.

كم تطلبون لنا عيباً فيُعْجِزُكُم ... ويكره الله ما تأتون والكَرَمُ

---

116 [البقرة: 150].

117 هذا رواه البخاري في صحيحه ولم يروه نعيم بن حماد في الفتن.

118 من تفسير ابن كثير (7/5).

- المقالة الثامنة:

قضية الاقتطاع والاجتزاء

نموذج قول كعب: (يستخلف رجل من قريش من شر الخلق ... يأمر بإخراج أهل اليمن من الشام ... فيتراسل أهل اليمن فيما بينهم حتى يجتمعوا كاجتماع قزع الخريف فينصبون من حيث كانوا بعضهم إلى بعض عصباً عصباً ... فيجتمع رأيهم على أن يبايعوا رجلا منهم فبيناهم يقولون نبايع فلاناً بل فلاناً إذ سمعوا صوتاً ما قاله إنس ولا جان بايعوا فلاناً يسميه لهم فإذا هو رجل قد رضو به وقنعت به الأنفس ليس من ذي ولا من ذي)[119].

لما ذكرت قضية الإجلاء في الأثر اهتدينا إلى أن سياقه الزماني هو في عهد الإمام المهدي لأنها تساند الآثار السابقة لقوله سابقاً: (ويولون عليهم رجلا من قريش يقال له محمد قال بعض العلماء إنه من اليمن على يدي ذلك اليماني تكون الملاحم)[120].

ثم إنه قد جاء أثر آخر خالياً من تلك المعمعة فعن أرطاة قال: (فيجتمعون وينظرون لمن يبايعون فبيناهم كذلك إذ سمعوا صوتاً ما قاله إنس ولا جان بايعوا فلاناً باسمه ليس من ذي ولا ذو ولكنه خليفة يماني).

فقوله خليفة يماني يفيد أن هذا الأمر يقع في اليمن، ولا يجوز التعامل مع نصوص الأحاديث كأنها مادة الرياضيات؛ كما يفعل من يوهم المتابعين والمقلد لهم: أن مادة الحديث مضبوطة مثل مادة الرياضيات وربما أكثر؛ مع أن المحدثين كان يعرفون مدى قدرتهم وحدود طاقتهم. قال أحمد بن حنبل: (ما كان أحد أقل سقطاً من ابن المبارك كان رجلاً يحدث من كتاب؛ ومن حدث من كتاب لا يكاد يكون له سقط كبير شيء، وكان وكيع يحدث من حفظه ولم يكن ينظر في كتاب؛ فكان يكون له سقط. كم يكون حفظ الرجل؟!)[121].

---

119 رواه نعيم بن حماد.

120 رواه نعيم بن حماد.

121 الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (189/3).

وقوله لا يكاد يكون له سقط أي أن له سقطاً، لكنه قليل. هذا إذا كان المحدث بوزن عبدالله بن المبارك وهو لا يحدث إلا من كتاب، فأما إذا حدث من حفظه فالأمر يختلف.

وقال علي بن المديني: (ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبدالله أحمد بن حنبل؛ وبلغني أنه لا يحدث إلا من كتاب ولنا فيه أسوة)[122]. فالحديث إذن؛ عن أحمد بن حنبل وابن المديني، وابن المديني لمن لا يعرفه فقد فضله البخاري حتى على نفسه؛ فقال: (ما احتقرت نفسي بين يدي أحد إلا بين يدي ابن المديني. وقيل للبخاري: ما تشتهي؟ قال: أن أقدم العراقَ، وَعَلِيٌّ بنُ المدينيِ حَيٌّ، فَأُجَالِسَهُ)[123].

ولنقف وإياكم على نموذج في الصحيحين في إسلام الصحابي أبي ذر الغفاري رضي الله عنه؛ لنقف على رواية البخاري؛ ثم نقف على رواية مسلم؛ ونرى مدى دقة الرواة في تبليغ الحديث؛ حتى نسحب هذه الدقة على أحاديث الفتن.

أما رواية البخاري فهي كالآتي قال أبو ذر: (... ثم أقبلت إلى مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد. قال: فمر بي علي. فقال: كأن الرجل غريب. قال: قلت نعم. قال: فانطلق إلى المنزل. قال فانطلقت معه لا يسألني عن شيء، ولا أخبره فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه وليس أحد يخبرني عنه بشيء. قال: فمر بي علي. فقال: أما آن للرجل يعرف منزله بعد. قال: قلت: لا. قال: انطلق معي. قال فقال: ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة. قال: قلت له إن كتمت علي أخبرتك. قال: فإني أفعل. قال: قلت له بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجل يزعم أنه نبي فأرسلت أخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فأردت أن ألقاه. فقال له: أما إنك قد رشدت هذا وجهي إليه فاتبعني ادخل حيث أدخل فإني إن رأيت أحدا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي وامض أنت فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي ﷺ. فقلت له: اعرض علي الإسلام فعرضه فأسلمت مكاني...) فهذه رواية البخاري.

122 الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (195/3).

123 سير أعلام النبلاء (48/11).

أما رواية مسلم في إسلام أبي ذر فهي كالآتي: (قال أبو ذر... فأتيت مكة فتضعفت رجلاً منهم. فقلت: أين هذا الذى تدعونه الصابئ فأشار إلى فقال الصابئ. فمال على أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا علي قال: فارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب أحمر. قال: فأتيت زمزم فغسلت عنى الدماء وشربت من مائها ولقد لبثت يا ابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع. قال: فبينا أهل مكة في ليلة قمراء إضحيان إذ ضرب على أسمختهم فما يطوف بالبيت أحد وامرأتين منهم تدعوان إسافًا ونائلة. قال: فأتتا علي في طوافهما. فقلت: أنكحا أحدهما الأخرى. قال: فما تناهتا عن قولهما. قال: فأتتا على. فقلت: هن مثل الخشبة غير أنى لا أكنى. فانطلقتا تولولان وتقولان لو كان ها هنا أحد من أنفارنا. قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان. قال (ما لكما). قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها. قال (ما قال لكما). قالتا: إنه قال لنا كلمةً تملأ الفم. وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه ثم صلى فلما قضى صلاته قال أبو ذر. فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام، قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله. فقال (وعليك ورحمة الله). ثم قال (من أنت). قال قلت: من غفار. قال: فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته فقلت في نفسى كره أن انتميت إلى غفار. فذهبت آخذ بيده فقد عنى صاحبه وكان أعلم به منى ثم رفع رأسه. ثم قال (متى كنت ها هنا). قال قلت: قد كنت ها هنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم. قال (فمن كان يطعمك). قال قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم. فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع. قال (إنها مباركة إنها طعام طعم). فقال أبو بكر: يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة. فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر وانطلقت معهما ففتح أبو بكر بابًا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف وكان ذلك أول طعام أكلته. هذه رواية مسلم.

فرواية البخاري تفيد أن لقاء أبي ذر إنما كان بعد استضافة الإمام علي له ثلاثة أيام، ورواية مسلم تفيد أن أبا ذر لقي رسول الله بعد أن سب الصنمين إساف ونائلة ولم تذكر الرواية أي دور أو استضافة من الإمام علي له، فلو أن رجلاً حديث عهد بإسلام قص عليه أحد

الوعاظ قصة إسلام أبي ذر ملفقة من الصحيحين بحسب ما ترتسم وتكتمل القصة في ذهنه، ثم قرأ الرجل القصة من أصح كتاب تحت أديم السماء بعد كتاب الله صحيح البخاري، ثم قرأ القصة من صحيح مسلم، ثم سألك عن هذا الواعظ هل يليق به أن يلفق بين قصتين ظاهرهما التناقض؟!.

إذا أجبته أنه يجوز التلفيق ما دام أن القصة في الصحيحين مهما كان التناقض صارخاً، وقال القرطبي في التوفيق بين الروايتين: (تكلف شديد)[124]؛ فإذا جاز عندكم التلفيق بتكلف شديد، فكيف لا تسوغون ذلك في أحاديث الفتن بأقل تكلفاً من ذلك؟!!.

أتريدون إخضاع أحاديث الفتن التي كانت تُروى سراً في الظلام بما لا قبل للبخاري ومسلم به؟!.

لكن قل لي كيف ستكون نظرة المسلم الجديد إلى أصح كتابين عند أهل السنة؟!، وكيف سيكون مصير تلك النظرة الوردية المرسومة في أذهانكم؟!

نعم! نحن بحمد الله لا ننكر السنة، وإنما على العكس فنحن نقبل من أحاديث السنة أكثر منكم ولكننا نتعاطى معها بواقعية على أنها أحاديث لا أرقام.

هذا وقصة أبي ذر قصة عاش صاحبها يروي فصولها وتفاصيلها إلى عهد خلافة عثمان بن عفان، وتناقلها الناس بدون أدنى خوف، وجاءت في البخاري ومسلم، فكيف بأحاديث قيلت في مجلس أو مجلسين؛ حفظ من حفظ ونسي من نسي؛ ثم رويت سراً وتناقلها الناس وهم يتخوفون من روايتها؟!

إنّ كلام المعارضين لنا عن المنهجية العلمية في التلقي والاستدلال واشتراط صحة الإسناد؛ يخيل معه أن الأحاديث من سمعها كأنما يستمعها من فم رسول الله مباشرة.

ومن مارس علم الحديث وأدمن الاطلاع عليه عرف مدى دقة الرواة، وسهل عليه التعامل الصحيح معها، وتأمّل ما جاء في روايات المسيح الدجال:

- (إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى)[125].

---

124 فتح الباري (175/7).

- (الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى)[126].
- وفي حديث أبي رقية الداري في وصف الدجال: (أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا)[127].
- (إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج)[128].

فعلى مذهبكم لو خرج الدجال فبماذا تصفونه للناس؟!.

وبعد هذا..!

فنحن نعتمد على أحاديث صحيحة أسانيدها كالشمس على أصل قضية المهدي ونناظر ونجادل بها، وأما القضايا الأخرى المتفرعة عن القضية الأصلية فاستدلالنا عليها كما ترى هنا.

- **تغيير الاسم وأثره بتغير الخلافة**

قال الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى- في ترجمة أبي مسلم الخرساني: (أبو مسلم الخرساني صاحب دعوة دولة بني العباس كان اسمه إبراهيم بن عثمان. فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيْمُ بنُ محمد بنِ عَلِيٍّ: لَمَّا عزَمَ عَلَى تَوجِيْهِهِ إِلى خُرَاسَانَ: غَيِّرِ اسْمَكَ، فَإِنَّهُ لاَ يَتِمُّ لَنَا الأَمْرُ إِلاَّ بِتَغْيِيْرِ اسْمِكَ عَلَى مَا وَجَدْتُهُ فِي الكُتُبِ. فَقَالَ: قَدْ سَمَّيتُ نَفْسِي عَبْدَالرَّحْمَنِ بنَ مُسْلِمٍ، ثُمَّ تَكَنَّى أَبَا مُسْلِمٍ)[129].

ولما ترجم الإمام الذهبي لأبي مسلم لم يذكر الاسم الأول "إبراهيم" وإنما ترجم له بالاسم المغير: (عبدالرحمن).

بهذه العقول الواسعة قامت للإسلام خلافة ولبني العباس دولة ولو كانت عقولهم كجلاميد صخر حطها السيل من عل، لما قامت لهم دولة ولا حضارة. وبعض من يعارضنا اليوم لو كان يومها هناك لاستغرق في الضحك، ولقال: يا إخوان كيف يكون اقامة الخلافة مرهوناً بتغيير اسم

---

125 وراه البخاري ومسلم.

126 رواه مسلم وأحمد والطبراني.

127 رواه مسلم.

128 رواه أبو داود وصححه الألباني.

129 سير أعلام النبلاء (52/6)

أبي مسلم؟! ولقال أيضاً: يا إخوان كيف تسقط الدولة الأموية بتغيير اسم أبي مسلم؟! ولو كان أنصار الدولة العباسية بعقليات –بعض الناس– اليوم؛ لقالوا: نعم نحن نكذب على أنفسنا؛ أبو مسلم اسمه إبراهيم، فإذا غيرناه لن يتغير الحال ! فالاسم لا يزول عن صاحبه بأفضل أنواع المزيلات عند هؤلاء القوم. هذا مبلغهم من العلم!

أما هدي محمد ﷺ فإن الاسم يزول ويزول أثر معناه، فالاسم وعاء وظرف للمسمى، فعن ابن المسيب، عن أبيه، أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: (ما اسمك؟) قال: حزن، قال: (أنت سهل) قال: لا أغير اسماً سمانيه أبي. قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد[130].

لو كانت الحزونة لا تزول بتغيير الاسم فما سبب محاولة تغيير النبي ﷺ؟! وإذا كانت الحزونة لا تزول فما فائدة قول سعيد بن المسيب وهو أعلم التابعين: فما زالت الحزونة فينا بعد؟! تُرى إذا كان الاسم لا يزول ولا أثره؛ فلماذا كان النبي ﷺ يغير الأسماء؟!

فسليمان بن صرد بن الجون الخزاعي؛ كان اسمه في الجاهلية يساراً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان. وقدم على النبي ﷺ رجل فقال له: (ما اسمك؟) قال: غاوي بن ظالم. فقال له رسول الله ﷺ: (بل أنت راشد بن عبدالله). وبشير بن الخصاصية السدوسي؛ كان اسمه في الجاهلية زحماً، فقال له رسول الله ﷺ: (أنت بشير). وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن عمر بن الخطاب كان اسمهما العاص فغيره النبي ﷺ وقال: (أنتم عبيد الله)؛ قال: فخرجنا وقد غيرت أسماؤنا. وعبدالرحمن بن عوف؛ كان اسمه عبد الكعبة، فغير رسول الله ﷺ اسمه وسماه عبدالرحمن. وأبو بكر الصديق؛ كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله.

وهذا كله تجده في كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر وكتاب الإصابة لابن حجر.

ترى هل ما زال اسم أبي بكر واسم عبدالرحمن بن عوف عند القوم هو عبد الكعبة؟!. وخاصة أنه لم يتغير اسم أبي بكر وعمره (3) ثلاث سنوات كالمرتضى، ولا (12) اثني عشر سنة

130 رواه البخاري.

كحمامة، وإنما تغير اسم أبي بكر وعمره (38) ثمان وثلاثين سنة، ولم يتغير اسم عبدالرحمن بن عوف إلا وهو في الثلاثين من عمره.

ثانياً: من قال إنه يشترط على من أراد أن يتكنى بأبي القاسم أن يكون له ولد اسمه القاسم وإلا فكنيته باطلة؟! ألم تكن كنية الصديق "أبا بكر" وليس له ولد اسمه بكر؟! فحتى لو لم يكن له ولد اسمه القاسم وتكنى بأبي القاسم لصح ذلك على جميع مذاهب العقلاء.

وأخيراً لقد أسرف الناس، فغيروا أصل الخلقة بعمليات التجميل، والقوم حجروا واسعاً؛ فحرموا حتى تغيير اسم، ثم حاسبوا الناس بفهمهم السقيم. قال ابن حزم: (قولوا بعلم كي يرى الناس من يدري، وإلا فعودوا للمكاتب بدأة، فكم دون ما تهوون لله من ستر) **﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾**[131].

- **مفهوم العقال**

في عقد الدرر؛ قال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: (فالخائب من خاب يوم كلب، ولو بعقال)[132]، قال أبو عبيد: (العقال: اسم لما يعقل به البعير)[133]، وكانت العرب تحمل معها العقال لتعقل به البعير حالة الحاجة، وفي الوقت الذي لا تحتاج إلى عقل البعير تضعه فوق رأسها ومع الأيام أصبح العقال زينة يتزين بها الناس. فحينما يقال: (والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ولو بعقال) لا يضير أن يكون العقال فوق رؤوس الجنود الأردنيين أو السعوديين أو كان في ركبة بعير فكلاهما عقال. وما الداعي للتفريق بين العقال سابقاً، والعقال لاحقاً؟! إلا محاولة لتلبيس الحق.

وأما أن جيش السيسي لا يلبس العقال؛ فجيش السيسي سيكون ضمن جيش الخسف وليس هو الجيش الوحيد، فمن هذا الجيش: جيش الأردن وهم أصحاب عُقُل، والجيش التابع

131 [يونس: 39].

132 عقد الدرر في أخبار المنتظر (19/1).

133 فتح الباري (278/12).

للأمير متعب بن عبدالله، وهم أيضاً أصحاب عُقُل. وما دام الأمر كذلك، فلا مانع أن يقال إن زي العقال حاضر في الجنود.

أما أن الجيش المصري لا يقع في الشام؛ فراجع معنى كلمة الشأم في مقال الرد على موضوع إجلاء اليمنيين، فالجيش المصري لا يعني أنه سيأتي من سوريا؛ وإنما من الجهة الشامية للمدينة المنورة وهو متحالف ضمن عدة جيوش شامية ومنها الجيش الأردني؛ وهو شامي، وضمن جيش تبوك وهو شامي أيضاً.

- **إن اقتتلوا وإلا فلا مساس**

قال الإمام الذهبي –رحمه الله– في ترجمة الحَسَن بن صَالِحِ بنِ صَالِحِ بنِ حَيٍّ الهَمْدَانِيُّ: (الإِمَامُ الكَبِيْرُ، أَحَدُ الأَعْلاَمِ، أَبُو عَبْدِاللهِ الهَمْدَانِيُّ، الثَّوْرِيُّ، الكُوْفِيُّ، الفَقِيْهُ، العَابِدُ، أَخُو الإِمَامِ عَلِيِّ بنِ صَالِحٍ... كَانَ يَترُكُ الجُمُعَةَ، وَلاَ يَرَاهَا خَلْفَ أَئِمَّةِ الجَوْرِ بِزَعْمِهِ... –ثم قال الذهبي–: ذُكِرَ الحَسَنُ بنُ صَالِحٍ عِنْدَ الثَّوْرِيِّ، فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ يَرَى السَّيْفَ عَلَى أُمَّةِ محمد ﷺ. قَالَ يُوْسُفُ بنُ أَسْبَاطٍ: كَانَ الحَسَنُ بنُ حَيٍّ يَرَى السَّيْفَ.... –ثم ذكر الذهبي القصة الآتية–: جَاءَ إِنْسَانٌ فَقَالَ لِسُفْيَانَ الثوري: يَا أَبَا عَبْدِاللهِ! قَدِمَ اليَوْمَ حَسَنٌ وَعلِيٌّ ابْنَا صَالِحٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُمَا؟ قَالَ: فِي الطَّوَافِ. قَالَ: إِذَا مَرَّا فَأَرِنِيْهِمَا. فَمَرَّ أَحَدُهُمَا، فَقُلْتُ: هَذَا عَلِيٌّ، وَمَرَّ الآخَرُ، فَقُلْتُ: هَذَا حَسَنٌ. فَقَالَ: أَمَّا الأَوَّلُ فَصَاحِبُ آخِرَةٍ، وَأَمَّا الآخَرُ فَصَاحِبُ سَيْفٍ، لاَ يَمْلأُ جَوْفَهُ شَيْءٌ. قَالَ: فَيَقُومُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَنَا، فَأَخْبَرَ عَلِيّاً، ثُمَّ مَضَى مَوْلاَيَ إِلَى عَلِيٍّ يُسلِّمُ عَلَيْهِ، وَجَاءَ سُفْيَانُ يُسلِّمُ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا أَبَا عَبْدِاللهِ! مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ ذَكَرتَ أَخِي أَمْسَ بِمَا ذَكَرتَه، مَا يُؤْمِنُكَ أَنْ تَبلُغَ هَذِهِ الكَلِمَةُ ابْنَ أَبِي جَعْفَرٍ، فَيَبْعَثَ إِلَيْهِ، فَيَقْتُلَهُ؟ قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَى سُفْيَانَ وَهُوَ يَقُوْلُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَجَادَتَا عَيْنَاهُ)[134].

134 سير أعلام النبلاء (361/7) وما بعدها.

فلو كان أصحاب مشروع المهدي يرون الخروج بالسيف على الأئمة ولا يرون الصلاة خلفهم لا جمعة ولا جماعة، لما جاز هتك أستارهم وفضح أسرارهم! ولَحُقَّ لكم أن تجود أعينكم بالدموع كما بكى سفيان الثوري من زلة لسانه في رجل بالفعل كان يرى الخروج على أبي جعفر.

ومشروع نصرة الإمام المهدي؛ إنما يقولون: إن اقتتل ثلاثة على الحكم في السعودية؛ سيخرج المهدي، وإن لم يقتتلوا فلا مساس!.

وسفيان الثوري لم ينشر زلته على وسائل التواصل الاجتماعي؛ وإنما زلت لسانه فاستغفر وبكى لما قال لَهُ عَلِيٌّ: يَا أَبَا عَبْدِاللهِ! مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ ذَكَرتَ أَخِي أَمْسَ بِمَا ذَكَرتَه؟! مَا يُؤْمِنُكَ أَنْ تَبلُغَ هَذِهِ الكَلِمَةُ ابْنَ أَبِي جَعْفَرٍ، فَيَبْعَثَ إِلَيْهِ، فَيَقْتُلَهُ.

يا سلفيون: أين الاقتداء بالسلف؟!.

- المقالة التاسعة:

الحديث الضعيف

لماذا لم يشدد الله حراسة السماء قبل الإسلام مع كثرة محاولات الجن استراق السمع؟!

ترى هل ليكون الناس على نوع اتصال مع خبر السماء عبر تلك الأسانيد الواهية بطرقها المسلسلة بالشياطين والكهنة والمشعوذين؟!

لماذا اعتمد القرآن الكريم الروايات الإسرائيلية بجعل أحبار اليهود حكماً بين قريش ورسول الله ﷺ؟!

لماذا شاعت ثقافة أن الرأفة بالحديث الضعيف دليل على قلة العلم؟! وأن الحرص على تضعيف الحديث دليل قطعي على وفرة العلم؟! أليس الأولى أن نحرص على تصحيح الحديث الضعيف؟! وخاصة في النبوءات المستقبلية لنكون على صلة مع التوجيهات النبوية؟!

لماذا ما زال علم الحديث بحاجة إلى مزيد من الطبخ والطهي، بعد أن فاحت رائحة حريقه كما قال الزركشي المتوفي قبل 600 سنة؟!

لماذا لا ينشط المطبخ السلفي إلا في التفنن في مزيد إشعال النار تحت قدور الحديث الضعيف؟!

ألا يحتاج هذا الفن إلى من يوقف كل هذا الحريق عنه؟!

إن من لطف الله تبارك وتعالى أن لا يترك الخلق في دياجير الظلام يتخبطون خبط عشواء، بل يفيض عليهم نوراً من أنواره، بالقدر الذي لا تكون للناس على الله حجة بعده؛ فـ(لا أحد أحب إليه العذر من الله)، ولذا لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة.

وفي زمن الفترة؛ ما بين آخر نبي من أنبياء بني إسرائيل، وهو السيد المسيح عليه السلام، وبين خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ؛ ما بينهما من الفترة لم يشدد الله حراسة السماء؛ مع كثرة استراق الجن السمع من السماء؛ ليبقى أهل الأرض على نوع اتصال مع خبر السماء، ويتحصلوا على شيءٍ من الأخبار، ولو كانت ضئيلة، قالت الجن كما حكى الله عنهم: ﴿**وأنا كنا نقعد**

منها مقاعد للسمع﴾[135]، ولما بعث النبي؛ أُغلق باب استراق السمع، وشددت الحراسة على الوحي، وأفلس سوق الكهانة **﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً... ﴾**[136]. فتعجبت الجن من انقطاع بقايا حبل الأخبار مع شدة مسيس الحاجة إليها، فقالوا متعجبين: **﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾**[137]. لأن الناس كانوا يقضون مآربهم، ويفصلون خصوماتهم، ويحلون قضاياهم على بقايا الصدق الذي يطفو على ركام كذب الجن والكهنة والمنجمين.

وقد اشتهرت قصصهم في ذلك كما في تعبير سطيح لرؤيا الموبذان وخمود نيران إيوان كسرى. وكما في قصة تبرئة هند بنت عتبة؛ لما اتهمت في عرضها فقضى لها الكاهن بأنها حصان رزان، غير رسخا ولا زانية، ولتلدن ملكاً يقال له معاوية. فكانوا يعيشون في ظلمة لا يلوح فيها إلا بصيص نور اختلط بظلمات بعضها فوق بعض، من كذب رواتها من شياطين الجن وتهالك أسانيدها من الكهنة والمشعوذين. وكان هذا البصيص هو القدر الذي أتيح أن يُسترق من خبر السماء. فكون الرواة شياطين لا يعني لزاماً أن كل ما قالوه كذب، فقد يصدق الكذوب، وقد قال النبي ﷺ لأبي هريرة: (صدقك -أي الشيطان- وهو كذوب)[138]. وكذلك لا يعنى أن كل قول للكهنة كان صحيحاً، لا هذا ولا ذاك! ولكن السؤال الذي يطرح نفسه؛ لماذا لم تشدد حراسة السماء قبل الإسلام؟! أما بعد بعثة النبي ﷺ فقد أصبح الذهاب إلى الكهان كفراً بما أنزل على محمد ﷺ؟!

ونلفت الأذهان إلى الموضوع من زاوية أخرى..

فاليهود الذين لم تكن بين أيديهم إلا كتب عبثت بها يد التحريف، قال تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا**

135 [الجن: 9].
136 [الجن: 9].
137 [الجن: 10].
138 رواه البخاري.

كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[139]، وقال تعالى: **﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾**[140]، وقال تعالى: **﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**[141]، ومع ذلك فقد احتج الله عليهم بكتبهم المحرفة، بل وأخبر أن معرفتهم للنبي ﷺ لا تقل عن معرفتهم لأبنائهم، ولم تكن مصدر هذه المعرفة إلا تلك الكتب المحرفة، فوق أن أسانيدها منقطعة، وبلا خطام ولا زمام، لكنها لما وقعت بالفعل احتج الله عليهم بها، بل لعنهم إذ لم يعملوا بمقتضاها؛ قال تعالى: **﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**[142]، بل وبتلك المعرفة تبوأوا كرسي الحكم والقضاء بين النبي ﷺ وكفار قريش؛ فقال تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**[143]، وقال تعالى: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾**[144]، وقال تعالى: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[145].

ووجه الله كفار قريش أن يسألوا اليهود عن طبيعة الأنبياء؛ فقال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (8)﴾**[146]، قال ابن كثير: أي: (اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف؛ هل كان الرسل الذين أتوهم بشرًا أو

139 [البقرة: 79].
140 [النساء: 46].
141 [آل عمران: 78].
142 [البقرة: 89].
143 [الشعراء: 197].
144 [الرعد: 43].
145 [الأحقاف: 10].
146 [الأنبياء: 7-8].

ملائكة؟!)[147]، وكانت رزانة أحلام كفار قريش؛ وكمال عقولهم تأبى عليهم أن يتعللوا بضعف وانقطاع أسانيد الروايات الإسرائيلية؛ وخاصة بعد وقوعها.

وتكرر توجيه الله لهم بسؤال بني إسرائيل عن أشياء أخرى ليتأكدوا من صدق القرآن الكريم فيما جاء به من أخبارهم؛ فمنها قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[148]، وقال تعالى: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ**﴾[149]، وقال تعالى: ﴿**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ**﴾[150]، وقال: ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾[151].

والقرآن جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتاب وموافقاً له لا مخالفاً مناقضاً في العموم؛ ولذا قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)**﴾[152]، وقال تعالى: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾[153]، وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ**﴾[154].

وما قيل في أنه ليس كل ما جاء به الكهنة والمنجمون -قبل الإسلام- كان باطلاً؛ فكذلك يقال هنا، فمع أن الرواة ليسوا فسقة فحسب، بل يهوداً كفرةً فجرةً، إلا أنه لا يعني أن كل ما يروونه لا بد أن يكون كذباً وخرافة؛ ولذا قال النبي: (حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ)، وقال أيضاً: (إِذَا حَدَّثَكُمْ أهل الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ). قال ابن تيمية: (فَإِنَّهُ رَخَّصَ فِي الْحَدِيثِ عنهمْ، وَمَعَ هَذَا نَهَى عَنْ تَصْدِيقِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي التَّحْدِيثِ الْمُطْلَقِ

147 تفسير ابن كثير (334/5).
148 [الإسراء: 101].
149 [الأعراف: 163].
150 [البقرة: 211].
151 [يونس: 94].
152 [الأعلى: 18-19].
153 [آل عمران: 3].
154 [الشعراء: 196].

عنهمْ فَائِدَةٌ لِمَا رَخَّصَ فِيهِ وَأَمَرَ بِهِ، وَلَوْ جَازَ تَصْدِيقُهُمْ بِمُجَرَّدِ الْإِخْبَارِ لَمَا نَهَى عَنْ تَصْدِيقِهِمْ؛ فَالنُّفُوسُ تَنْتَفِعُ بِمَا تَظُنُّ صِدْقَهُ فِي مَوَاضِعَ)[155].

فإذا كان لروايات شياطين الشعوذة؛ نوع قيمة، ومثقال ووزن قبل الإسلام، وإذا كانت الكتب التي يرويها يهود؛ تربعت كرسيَّ القضاء للفصل في صحة المعلومات التي يطرحها القرآن الكريم، فلماذا الإجحاف والإسراف في ردّ الحديث الضعيف إسناده؟! وهو أعلى رتبةً وأرفع منزلةً؟! أليس رواتها علماء صالحون؟! أما آن أن توضع الأمور في نصابها، والنقاط على حروفها؟!.

وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الطريقة الصحيحة في التعاطي مع ما يحتمل صحته؛ فقال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾[156]، والمعنى: ألا تراعون احتمال صدق الرسول فتأخذوا بالحيطة وتتوخوا الحذر؟!.

كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿**وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**﴾[157]، فكذا في الحديث الذي ضعف إسناده؛ في الأخبار المغيبة والنبوءات المستقبلية، ألا يؤخذ بالحيطة ويتوخى الحذر، فيراعى احتمال صدقه وصحته، خاصة أنه قد تمثل في أرض الواقع؟!

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[158]، فأمر بالتبين من خبر الفاسق ولم يأمر بمطلق الرد، فكيف إذا تجسد الحديث حياً في أرض الواقع، ألم يتبين بعدُ صحته؟! وأحاديث النبوءات المستقبلية والأخبار الغيبية والأنباء السياسية على وجه الخصوص!

قال حذيفة بن اليمان: ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة إنسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة كل ذلك مما علمنيه رسول الله ﷺ[159].

---

155 مجموع الفتاوى (67/18).

156 [فصلت: 52].

157 [غافر: 28].

158 [الحجرات: 6].

159 أخرجه نعيم بن حماد.

وقال عَمْرَو بْن أَخْطَبَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا[160].

والسبب في أنه لم يخلص إلينا من قائمة أصحاب الفتن إلا القليل، هي الظروف السياسية القاسية.

وتأمّل ما رواه البخاري من حالة الخوف الشديد الذي خاف معه أبو هريرة؛ من قطع حلقومه لو بث ونشر علم الفتن كما بثّ ونشر علم البينات والهدى؛ قال أبو هريرة رضي الله عنه: (حفظت من النبي ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قُطع هذا البلعوم)[161].

والوعاءان هما نوعان من العلم. قال ابن حجر: (وحمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أسامي أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم، وقد كان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح به، خوفاً على نفسه منهم كقوله أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة واستجاب الله دعاء أبي هريرة، فمات قبلها بسنة)[162].

الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها. قَالَ الْحَسَنُ البصري: (صَدَقَ وَاللَّهِ لَوْ أَخْبَرَنَا أَنَّ بَيْتَ اللَّهِ يُهْدَمُ أَوْ يُحْرَقُ مَا صَدَّقَهُ النَّاسُ)[163].

فإذا كانت عنق أبي هريرة مهددة بقطعها وهو الصحابي الجليل؛ كيف نطمع أن نتحصل على أسانيد ذهبية في أحاديث الفتن؟! إلا أن نقبل بها على وفق المنهج الأول.

وفي الأخير نقول: إنا نترقب أن تبنى أكثر الحضارات تقدماً، وأقرب خلافة تطابق منهاج النبوة، على كاهل الحديث الضعيف.

وإن غداً لناظره قريب!

---

160 رواه مسلم وأحمد.

161 رواه البخاري.

162 من فتح الباري.

163 رواه ابن سعد في الطبقات.